
عباس محمود العقاد
٥



ديوان


هدية الكروان




نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

عباس محمود العقاد

هدية الكروان



عنوان الكتاب: هدية الكروان
اسم المؤلف: عباس محمد العقاد
تاريخ النشر: مارس ١٩٩٧

رقم الإيداع: ١٣٩٨٠ /١٩٩٦ .
الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 0538 - 1
تصميم الغلاف: م. محمد العتر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ /٠٢
ص.ب: ٩٦ الفجالة
ادارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ /٠٢
ص.ب: ٢٠ امبابة

تسمعه الفينة بعد الفينة فى جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار ، فيشبِّه لك الزاهد المتهجد الذى يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترة بعد فترة ، ويشبه لك الحارس الساهر الذى يتعهد الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة ، وينطلق بالغناء فى مفاجأة منتظرة أو انتظار مفاجئ فلا تدرى أهى صيحة جذل أم هى صيحة روعة وإجفال ، ولكنك تشعر بالجذل والروعة والإجفال تتقارب وتتمازج فى نفسك حتى لاتتفرق ، كأنك تصغى إلى طفل يرتاع وهو جذلان ويجذل وهو مرتاع! ويطلب الخطر ويشتهيه لأن للخطر فى حسه طرافة وحركة ، فهو من عالم التفاؤل والإقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص .

ويطلع عليك بهتافه من هنا ومن هناك ، وعن اليمين وعن الشمال ، وعلى الأرض وفوق الذرى ، فيخيل إليك أنك تستمع إلى روح هائم لايقيده المكان ولايعرف المسافة ، أطلقوه فى الدنيا على حين غرة فسحرته فتنة الدنيا وخلبته محاسن الليل ، فهو لايعرف القرار ولايصبر فى مطار ، فأنت تتلقى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالما من معان وأشجان يتجاوب فيها تقديس المصلى القانت وحدب الحارس الأمين وروح الطفولة ومناجاة الخطر المقبول وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال : عالم لانظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار .

ومن العجيب أنك لاتقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون ، على كثرة ما يسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب ! .

وأعجب منه أنك لاتقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ماتسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المغنى بالكروان ولايلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون .

وليس عن تعصب منا للوطن نؤثر الكروان على البلبل وما إليه ، لأن التعصب الوطنى على هذه الصورة حماقة لامعنى لها فى الشعر والشعور ، ولكننا نؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق ، أما الإعجاب بالطير الذى لانسمعه فذاك محاكاة منقولة تصدر من الورق البالى وتؤذى النفس كما يؤذيها كل تصنع لاحقيقة فيه ، وأخف موقع له فى نفوسنا أن يضحكها ويغريها بالسخرية .

كذلك الأصم الذى أراد أن يخفى صممه فى مجلس الغناء ، فأوصى صاحبه أن يغمزه كلما وجب الصياح والاستحسان ، فلما نام وراحوا يوقظونه آخر الليل قام يصيح ويستحسن ولا سماع هناك ولاسامعين ! .

وإذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطير على اختلافه فبماذا عساه يشعر؟ إن الطير المغرد هو الشعر كله لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير والموسيقية ، فمن لم يأنس به لم يأنس بما فى هذه الدنيا من طبيعة شاعرة ولم يختلج له ضمير بما فى الحياة من فرح وجيشان وتعبير .

والطير بعد هو حجة الطبيعة لشعر الإنسان وغناء الإنسان ، فهو

عند الشاعر وثيقة لايعرض عنها ولايفلتها من يديه ، فإذا قال الجفاة الجامدون : إن الشعر لغو فى الحياة ، قال الشاعر : إن التعبير الموسيقى عنصر من عناصر الطبيعة ، وإن الطير يغنى ويهتف ، وإن الطير يفرغ للغناء وحده إذا شبع وأمن ، كأن الغناء والتعبيرعن الشعور هما غاية الحياة القصوى ، لاينساها الحى إلا لعائق يشغله ويغض من حياته .

والجفاة الجامدون يقولون كثيرا عن الشعر فى الزمن الأخير : يقولونه على الرغم من هذا الشعر الذى تفيض به الطبائع الحية ولاسيما الأحياء المغردة الطائرة ، ويقولونه على الرغم من ملازمة الشعر لكل أمة ولكل قبيلة ولكل لغة ، فلو كان شيئا عارضا فى الحياة الإنسانية لما وجد حيث توجد الحياة الإنسانية ، ولو كانت الموسيقية نافلة فى الدنيا لما وجدت فى أمة الطير ، وإذا وجدت فى لسان الطائر فلماذا تحرم على لسان الإنسان؟ ولماذا يكون الكلام الإنسانى وحده بمعزل عن الأوزان والأشجان ؟ .

فبين الطائر المغرد والشاعر الشادى محالفة طبيعية لا تحنث فيها الطير ولاتقصر فى إسداء حصتها الخالدة ، والشعر مهما أسلف من ثناء على الطير وتمجيد للتغريد لن يوفى كل دينه ولن يستنفد كل حصته ، فلتكن «هدية الكروان» بعض الهدايا التى يتصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء .

عباس محمود العقاد

الكـــروانـــات

هتــفــات الكِرْوان[1] بالليل تتــرى

ومــــعــــانى الربيع نورًا وعطرا

وجــمــال الحــيــاة حــبّــاً وحــسنًا

وشــبــابًا يفــيض عطفًــا وبشــرا

بتُّ أصــغى لهــا ، وأقــبس منهــا

ثم ترجــمــتــهــا لمن شــاء شــعــرا

---

(١) جمع كروان ، بفتح الكاف والراء .

الكروان المجدد

قبل عشرين سنة نظم صاحب الديوان قصيدة «الكروان» وفيها هذه الأبيات :

هل يسمعون سوى صدى الكروان
صوتًا يرفرف فى الهزيع الثانى
من كل سارٍ فى الظلام كأنه
بعض الظلام، تَضله الغينان
يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه
موج الدياجر، دعوةَ الغرقان
. . . .
. . . .
ما ضر من غنى بمثل غنائه
أن ليس يبطش بطشة العقبان
إن المزايا فى الحياة كثيرة
الخوف فيها والسطا سيان

* * *

يا محييَ الليل البهيم تهجدًا
والطير آوية إلى الأوكان
يحدو الكواكب وهو أخفى موضعًا
من نابغ فى غمرة النسيان

قل يا شبيه النابغين إذا دعوا
والجهل يضرب حولهم بجران
كم صيحة لك فى الظلام كأنها
دقات صدر للدّجنّة حان
هن اللغات ولا لغات سوى التى
رفعت بهن عقيرة الوجدان
إن لم تقيدها الحروف فإنها
كالوحى ناطقة بكل لسان
أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى
بث الحزين وفرحة الجذلان

* * *

وفى هذا العام نظم صاحب الديوان القصيدة التالية ليقول فيها : إن ما سمعه من الكروان أولا غير ما سمعه آخرا ، وإن الكروان يجدد معانيه لسامعيه فترة بعد فترة على خلاف ما يسبق إلى الظن بلغة الطير!

وهذه هى القصيدة :

زعموك غير مجدّد الألحان
ظلموك ، بل جهلوك ، يا كروانى
قد غيرتك ، وما تغير شاعرا
عشرون عاما فى طراز بيان
أسمعتنى بالأمس ما لا عهد لى
بسماعه فى غابر الألحان

ورويت لى بالأمس مـــا لم تروه
من نغمة وفصاحة ومعان

* * *

شكواى منك ، وإن شكرتك ، أنه
سرٌ تصر به على الكتمان
شكرى إليك ، وإن شكوتك ، أنه
سرٌ تؤخره لخير أوان
كنز يصان فهات من حباته
ذخر القلوب وحلية الآذان

* * *

أنا لا أراك! وطالما طرق النُّهى
وحيٌ ، ولم تظفر به عينان
أنا فى جناحك حيث غاب مع الدجى
وإن استقر على الثرى جثمانى
أنا فى لسانك حيث أطلقه الهوى
مرحا ، وإن غلب السرور لسانى
أنا فى ضميرك حيث باح فما أرى
سرا يغيبه ضمير زمانى
أنا منك فى القلب الصغير ، مساجل
خفق الربيع بذلك الخفقان
أنا منك فى العين التى تهب الكرى
وتضن بالصحوات والأشجان

طِرْ فى الظلام بهجة لو صافحت
حجر الوهاد لهمَّ بالطيران
تغنيك عن ريش الجناح وعزمه
فرحات منطلق الهوى نشوان
فرحات دنيا لايكدر صفوها
بالمين غير سرائر الإنسان

* * *

علمتنى بالأمس سِرك كله :
سرّ السعادة في الوجود الفانى
سرُّ السعادة نفرة ومحبةً
فيكم تؤلف نافر الأوزان
الكون أنتم فى صميم نظامه
وكأنكم فيه الطريد الجانى
أنتم سواء كالصديق وبينكم
بعدٌ كما يتباعد الخصمان
لايحمل الطيار وزر العانى
حمل ابن آدم عشرة الأخوان
لا عالم منكم ولامتعلمٌ
كلا ! ولا متقدم أو وان
متشابهين على الحياة فكلكم
سارى ظلام ، هاتف بأغان
متفرقين على المقام ودأبكم
عند الرحيل تجمع القطان

وكأنما نسخت لكل نسخة
من هذه الأجواء والأوطان
فهو الشريك على نصيب واحد
وهو الوحيد فما له من ثان
ذخر الطبيعة منه تعطون الحجى
لا من سباق بينكم ورهان

* * *

أنتم بنى الطير المسبّح فى الدجى
فيكم كهانة صالح الكهان
بعتم كرى الغافى وطِيبَ رقاده
وبه اشتريتم يقظة اليقظان
قل ما اشتهيت القول يا كروانى
فى لهو ثرثار وحلم رزان
سأعيش مثلك لى وللدنيا معًا
وأقول مثلك كيف يزدوجان
وأظل تزدحم الحياة بمهجتى
أبدا ويجتنب الزحام مكانى
فى عزلة أنا والحبيب تؤمنا
دنيا الجمال ، ونحن منفردان

* * *

الليل يا كروان

الـلـيـل يـا كــــــروان	بشـــــراك طاب الأوان
بشــراك ؟ بل أنت بشــرى	تهــفــو لهــا الآذان
ســهــران فى الليل شــاد	فكلنا ســـهـــران
وإن تكن أنت حلمًـــاً	فــكــلُّـنـــا وســنــان
وسنان لم يسْـــهُ قلب	لـه ولا أجــــفــــان
النوم فـى الـصـــيف وزرٌ	وفى الهــوى كــفــران

* * *

الـلـيـل يـا كــــــروان	مـــا أنت والنســيـــان
حـــاشـــاك مـــا أنت ســاه	عنه ، ولا كـــســـلان
الليل ذكــــرى وأنت الـ	ـمــذكــر اليــقظان
لـكـنـمـــا أنـت روحٌ	وهـــل لــروح مـــكـــان ؟
بينا يقـــال قـــريبٌ	كـــأنه الـوجـــدان
إذا بـه فـى صــــــداه	كـــأنه كـــيــوان [1]
إن كـــان فى الـسـمع طيف	فــــأنت يا كــــروان
صـــوت ولا جــشــمـــان	لحن ولا عـــيـــدان
كـــأنـه هـاتـف فـى	فــضـــائه حـــيـــران
أو رجع صـــوت قـــديم	يعـــيــده الحــســبـــان

* * *

الـلـيـل يـا كــــــروان	فـــأين منك الـبـيـــان ؟

---

(١) النجم عطارد ، وهو إله الغناء والفنون فى عرف الأقدمين .

ليل الطبيعة صمتٌ — وأنت فيه لسان
وظلمة الليل سرٌّ — فاقرأه يا ترجمان
ما في الظلام ظلام الحـ — ياة لو يستبان
إلا صياح اشتياق — تروضه ألحان
نصف الحياة اضطراب — ونصفها أوزان [1]

* * *

الليل والصيف والحب — كلهن أوان
وأنت منهن طراً — على وعود تصان
خذ صمتهن وصغه — شدوًا له سريان
غص في قرار الدياجي — فللدجى شطآن
واستقبل النجم علوا — إن النجوم حسان
وخذ من الصيف نارًا — لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دورًا — دارت له الأكوان
في الأرض بيتك ثاوٍ — وفي السماء افتنان
وبين ذلك ملهى — للحب، بل ميدان
واللهو في الحب فاعلم — كالحرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا — يا ابن الليالي أمان
شادي الغرام له من — سكر الغرام ضمان

* * *

الليل يا كروان — والعالم الغفلان

---

(١) الحياة مضطرب غرائز وأشواق ودوافع، والفنون تروض هذا الاضطراب وتعالجه بالتنظيم، فنصف الحياة فوضى ونصفها وزن، والشعور الفني هو الحياة الكاملة.

ونسمة الصيف تسرى وفى يديك العنان
والصبح أول مرسى يرتاده الركبان
ألا تزاور[1] عنه فى الرحلة الربان ؟!
وما ارتضاه ولكن ما الزمان زمان
فاملأ من الليل نفسًا عزيزة لا تهان
لا هتفة فيه تبقى إلى غد أو أذان
الليل يا كروان ! الصبح يا كروان !

* * *

سؤال الكروان

حذار البأس أو حب الجمال
هتافك فى الدجى يا ابن الليالى؟
ومن يقظات نفس فيك نشوى
تعاف النوم أم من سوء حال
وعندك للنجوم هوى قديمٌ
أو أنك كارهٌ للصبح قال
وهذا الطير ينعم فى ضحاه
فمالك فى النعيم بلا مثال ؟
أضل الطير ويحك عن هداه
أو أنك أنت وحدك فى ضلال ؟!

(١) تزاور : انحرف وأعرض .

وأين من الضــــلال هتـــاف حـــر
تـنـزه عـن نـشــــوز وابتـــــذال

* * *

وقــــالوا مــــا شـــدا الكروان إلا
ليـســـأل عــرســه قــوت العــيــال
وقــالوا تـســرق الأعــشــاش عــمــدًا
على كـسل وضـعف فى الخــصـــال
وإنك بالتـــراب شــبـيـــه حـــال
وبالـديدان منهـــوم مــــغـــــال
ســــألت ومـــا أرى لك من جـــواب
ســوى اللحن الشـجى على ســؤالى
ســــأســـمع منك أنغـــام الليـــالى
وأســـمع عنك أشــتـــات المقـــال
ولا آلـوك إصـــــغـــــاء ووصـــــفًـا
كــــلا الأمـــرين من همـى وبالـى
أبـا لـكـروان - يـا مـظـلـوم - تـدعــى
وأنت عن الكرى المحـبـوب ســال ؟ !
بحـــســبك أنهم كـــذبوك جـــهـــرا
وأنك صـــادق الهــتـــفـــات عـــال
وأنك مـــفـــرد فى الطيــــر لحنا
ومـــا اســـتــفـردت فى تلك الخـــلال
إذا شـــابهــتــهـــا فى النقص حـــينا
فـــأين المشـــبــهـــاتك فى الكمـــال

غنِّ يا كروان

قم غـن يـا كـــــــروان غـنِّ
وتمـنَّ فـى الـدنيـــــا ومنًّـى
وأمـن دجـــاك وإن عـــرفـ
ـتك فى الحـــيـــاة قليل أمن
فـــيم المخـافـــة يا سـمـيـ
ـر الليل أو فـــيم التـــجنى ؟
لا أنت جـــزل فى الصـــحـــاف
ولـست فى قـــــفص تُغنِّـى
كــــلا ولا فى خــــافـــقيـ
ـك الحــــائلين بـريق حــــسن
والـصــــــقـــــر نام وأنـت وحـ
ـدك تمـدح الـدنيـــــا وتـثـنـى
لـك كـل مـــــا دون الـكـوا
كب من ســمـــاك الليل مـــبنى
فـــأمن زمـــانك أو فـــخف
فـــالطـبـع دون الـرأى يـغـنـى
إنـي أخـــــالـك لـو أمـنـ
ـت لما هتـــفـت لـنـا بـلـحن

***

ما أحب الكروان !

مـــــــا أحب الـكـروان !
هل ســـمــــعت الكروان ؟

* * *

مــوعـدى يا صــاحـبى يوم افـتــرقنا
حـيث كـانت جـيـرة أو حـيث كنا
هاتف يهــتـف بالأســمـــاع وَهْنا [1]
هـو ذاك الـكـروان ، هـو هـذا الـكـروان !

* * *

الـكـراوين كـــثـــيـــر أو قـليـل
عـندنـا أو عـندكم بـين الـنـخــــيـل
ثم صــوت عـــابر كل ســبــيـل
هو صـوت الكروان فى ســبـيل الكروان

* * *

لى صـــدى منه فـــلا تنس صـــداك
هـو شـــــاديك بـلا ريـب هـنـاك
فـــإذا مـــا عـــســعس الليل دعـــاك
ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكروان ؟

* * *

(١) الوهن من الليل : نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

مــفـــــرد لـكـنـه يـؤنـسـنـا
ســـاهر لـكـنـه يـنـعـــسـنـا
صـــدحت فى نفـــســه أنفـــسنا
فـتـسامـعنا سـواء ، وسـمـعنا الكروان !

* * *

واحـــد أو مـــائة ترجـــعـــه
عـنـدنـا أو عـنـدكـم مـطـلـعـــه
ذاك شىءٌ واحـــد نســـمـــعـــه
فى أوان وبيـــان ، هو صـــوت الكروان

* * *

واحـدٌ بين عــصــور وعــصــور
نحن نســتــحــيى به تلك الدهور
لم يفـــتنا غـــابر الدنيـــا الغـــرور
فى أوان الكروان ، مـــا أحب الكروان !

* * *

على الجناح الصاعد

حـــادى الظلام على جناح صـــاعـــد
يا أرض اصغى ، يا كـواكب شـاهدى !
يا آنسين بصـــحـــبـــة من وجـــدهم
نصـــوا المســـامع للأنيس الواجـــد

يا ساهدين على انفراد فى الدجى
ردوا التحية للفريد الساهد
المستعز بعرسه ، وكأنه
منها نجى مغاور وفراقد
لهجت طيور بالضحى وتكفلت
بالليل حنجرة المغنى الخالد
يحدو ويشدو لا مساعد حوله
أبدا ، وما هو آمن لمساعد
أنا صائد لصداك ، لست بصائد
لك أنت يا كروان ، فأمن صائدى
بينا أقول هنا إذا بك من هنا
فى جنح هذا الليل أبعد باعد
وودت يا كروان لو ألقيت لى
صوتين منك على مكان واحد
إن كنت تشفق أن أراك فلاتزل
فى مسمعى وخواطرى وقصائدى
عاهدت هذا الصيف لست بواهب
سمعى سواك ، فهل تراك معاهدى ؟
من كان قد أغنى الطبيعة كلها
مغنى عن شاد سواه وشائد

* * *

ألف صدى

ألف صـــدى لـهـــاتف	منـفـــرد على الذرى ؟
أم ألـف شـــاد رددت	هتـــافـهـــا مكررا
أم ذاك روح أطـلـقـــو	ه فى الدنى مـحـيــرا
فــرادها مـسـتـغـربا	وطافـهـا مـسـتـبـشـرا
فـــلايقـــال مــقـــبل	حـــتى يقـــال أدبرا
هن كـــــراوين الـليـــا	لى أو فـــقل هو الكرا[1]
لانـقـص إن قـلـت ولا	مــزيد فى أن تكثــــرا
باركـــهـــا من بارك الخلـ	ـد ومـــا قـــد أثمـــرا

* * *

شدو الآمن الخائف

يا صاحب الليل غام الليل أو سـفـرا
ولف ظلمـــاءه أو أطلع القـــمـــرا
مـا أنت بالليل مـفـتـونا ، ولا كلفـا
بالنجم ، أو بظلام الليل حين سـرى
وإنما أنت مـــفـــتـــون بعــزلتـــه
وبالأمـان الذى تلقـاه مـسـتـتـرا

---

(١) الكرا : ذَكَر الكروان .

وبالحبيب الذى يدعوك مرتفعا
في ساحة الليل ، أو يدعوك منحدرا
إذا شدوت فما أدرى أذو كلف
ناغى الهوى أم نذير فاجأ الخطرا
سيان يا كروانى القلب مستعراً
بالشوق أو بضرام الخوف مستعرا
إن كان شدوك أمنًا فاشدُ فى دعة
أو لا فلازلت مذعّور السُّرى حِذرا !

لمن الفضل ؟

كروان الليل رتل للهوى | آية الحمد . وحمد الفطن
هو أغراك بشدو وثنى | لك سمع العاشق المفتتن
لك إلفٌ منه تستوحى ، ولى | أنا إلفٌ وحيهُ ينطقنى
أنت لولا نفحة من حبه | ساكن عندى ، وإن لم تسكن
صامت الفن ـ أخا الفن ـ وإن | صدحت ألحانه فى أذنى
غار حبى منك فاسمع إننى | عنه أروى كل شىء حسن
وله الفضل ومنه الوحى لا | منك فى كل مقال بين

* * *

ألحقنا المقطوعات الآتية بهذا الباب لأنها تشبهه وتتصل ببعض أبياته .

القمارى العارفة

مـــلأت دارى الـقـــمـــارى غنـاء
ويحـــهـــا ! هل يكشف الطيـــر الغطاء

عـــرفت عندى ربيـــعـــا بعـــدمـــا
رهبت من ظلمـــة الدار الشـــتـــاء

عـــرفـــتنى العـــام أم كـــانت هنا
كـل عـــــــام تمنح الـدار الـولاء

لم أكن أحـــــفلهـــــا حـــتى إذا
صـــدح الحب تســـمـــعت الغناء !

ببغاء [1]

ببـــــغــــــاءٌ ترنمتْ   بمديح البــــــــلابل
أيـــن مـــنـــا بـــلابـــلٌ   مـــســـرعـــات المراحل
فى ســـمـــاوات مـــوطن   لـيس منهـــــا بأهل
بالكراوين عـــــامـــر   والقـــمـــارىُ حـــاقل
ناج مـــا أنت ســـامعٌ   يا أســـيـــر الأوائل
اسلُ عن عـــاجل بذى   صـــحـــبـــة غـيـر عـاجل
مـــا اشـــتـــغـــالٌ بمورد   لـــســـتَ مـنـه بـنـاهـل

---

(١) الببغاء تحكى ما تسمع دون أن تعقل ، وكذلك يكون الشاعر الذى يتغنى بالبلابل على المحاكاة والتقليد دون أن يسمعه ، فهو فى مصر نادر لايزورها إلا فى رحلة عاجلة .

وانصـــــراف عن الـذى   أنـت منـه بســــاحـل

أنــت عــنــدى بــذا وذا   جـــاهلٌ أى جـــاهـل

ناقلٌ لهــفــة الصــدى[1]   أو شــبــيـــه بناقـل

فـى الكـراوين غـنيـــةٌ   عـن نشــيــد البـــلابل

والقـــمـــارىُّ مـــالهـــا ؟   أصغ واســمع ، وســائل

إن تـعـــدَّاك قـــولهـــا   فـــالتــمس وصف قـــائل

* * *

شدو لا نوح

شـــدوُ القـمـــارىِّ لانوح القـمـــارىِّ

هل يعبر الحزن بالشادى الصباحىِّ؟

أو الربيــــــعىِّ فـى أنـس وفـى أمـل

وفى غــــرام على الإلفين مطوىِّ ؟

يا حـسنهـا من بشـيـرات على دعـة

كـــأنهـــا أمنت قـــوت الأمـــاتىِّ

مـحـبَّـبـات إلى الإنســان تألفـه

وتعـــــتـلى من ذراه كـلَّ علوىِّ

تهـوى الديار ، وفى الآفـاق مطلعـهـا

مـابالهـا ؟ هل سـبـاها حـسن أنسى؟

وللأنـاسىِّ حــــــسنٌ لا أبوح بـه!

هل تعرف الطير مـا حسن الأناسى ؟

---

(1) الظمأ .

غنَّتْ لزهر وسلسال ولو رشفت
زهر المباسم جُنَّت بالأغانىٌ
أوْلى لقُمريِّنا أن لايحوم على
يأس الهوى بين أنسى و«طَيْرىٌ»
غَرِّدْ على الدور يا قمرىُّ فى دعة
واسلم هنالك من باك ومبكىٌ
واتلُ الرجاء على هذا وذاك ، ولا
تسألهما عن جوى فى القلب مخفىٌ
حسب المغانى التى يبكى الحزين بها
من سلوة ، أن فيها شدو قمرىٌ

* * *

شفاعة للغراب

حيَّى الغراب الفجرَ بالنعيب تحية التهليل والترحيب
وافترَّ نور الفجر كالحبيب فى غير ما لوم ولا تثريب
لهاتف ناداه من قريب

* * *

ماذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيى النور باليقين
تحية العصفور والشاهين ؟ ألا تدين كلها بدين ؟
فماله يُعذل كالرقيب ؟!

* * *

شـفـاعـة الأنوار والأحـبـاب   فى الأسود المهجور فى الخراب
ما الصّيدحُ الهاتف بالعجاب   أصدق حبّاً لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسـمـعـهُ والطيـر فى أوان   وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجانى
صوت حبيبى بادئَ الحنان   لذلك الموعـود بالحـرمـان
وما له فى الحسن من نصيب

* * *

أمنت منه لوعـة الفـراق   وكلٌّ غـاق عنده وقـاق
فـلايزل ينعم بالإشـفـاق   من الرياض الفِيح والآفـاق
ومنك يافجر ، ومن حبيبى

* * *

عادات الغراب

بئس الغـراب إن ذكـرتُ بصـوته
عطف الحـبـيب عليـه كلَّ صـبـاح
أبدًا يقـاطع كل شـاد حـوله
كـمـعطِّلى الإنشـاد فى الأفـراح
فـإذا شـدا الكروان أتبع شـدوه
بصـيـاح شـؤمٍ منه أو بنواح
وإذا ترنّمتْ القـمـاريُّ انبـرى
مـابين تنعـابٍ وخـفق جناح

حســـدًا ولؤمًـــا ، أو غـــرورًا لم يزل
دأب الحـــــــود وديدن الملحـــاح

لاعـــاد فـــرعٌ كـــان ينعب فـــوقـــه
فـــرمتـــه فـــأس الحـــاطب الجتـــاح

* * *

نعب على عشه

هدمـــوا دار الغـــراب   وابـتـلـوه بـالخـــرابِ
قطعـــوا الدوحـــة قطعـــا   ورمـــوها فى التـــراب
ليت شـــعرىَ من هُنا النا   عب يا رب النُّعـــاب
لستَ بالمأمـــون فـــاذهب   غـــيـــر مـــبكىٍّ الذهاب
أنت آذنت بخـــــوف   فـى هوانـا وارتيـــاب
لم تصن عـــهـــدًا لمن حـــا   طك بالعطف العـــجـــاب
لحـــبـــيـــبٍ بات يرثى   لك من سخـــر الصحـــاب
فـــامض فى غـــيـــر وداعٍ   وأنا فى غـــيـــر اقـــتـــراب
وخـــذ الغـــربان طرًا   مـــؤنســـات فى الركـــاب

من ذوات العش فى النفـــــس وفى هذى الرحـــاب
رب شك هو فى الأنفـــــس شـــر من غـــراب !

* * *

سحر الطير

كل إلف له من الطير إلف
هكذا تجمل الحيا وتصفو
أملٌ يرتقى ، وحبٌ يناجى
ولسان يشدو ، وقلبٌ يرف
بك خفَّ الجناح يا أيها الط
ير ، وما كنت بالجناح تخف
لطف روح أعار جنبيك ريشًا
فمن الروح لا من الريش لطف
ليس ينميك للسماء جناح
بل غناءٌ عن الضياءِ يشف
إن مضى الناس يعجبون قديمًا
كيف تعلو ؟ عجبتُ كيف تُسف
ثقلةٌ فى الحياة لم ينج طبعٌ
من عراقيلها ولم يخلُ عرف

* * *



غـزل ومناحـاة

ارتجال المنى

مَنِّنِى أطيب المنى يا حبيبى   فالمنى وحدهن منك نصيبى
إن يَفُتنا منالها لم تفتنا   نظرة من خيالها المرقوب

* * *

مَنِّنِى ، بل دع المنى يا حبيبى   فشقائى فى الموعد المكذوب
هان فقد المنى التى لم تَعِدنا   وافتقاد الموعود جد صعيب

* * *

أعطنى! أعطنى إذن يا حبيبى   غير ما ناكث ولا مستجيبِ
أعطنى صفوك ارتجالا ودعنا   من مطالٍ بالوعد أو تقريب
فارتجال المنى أحب لنفس   شبعت من رويَّةِ التجريب

* * *

متى ! (١)

متى يا عيون يعود الضياءُ ؟   متى يا رياض يعود الربيع ؟
متى تأمرين ؟ متى تأذنين ؟   متى تقبلين دعاء الشفيع ؟

* * *

متى يرجع الغائب المرتجى   إلى صدر أم براها السقام ؟
متى يهبط النوم تحت الدجى   لعينيك يا ساهرًا لاينام ؟

* * *

(١) إذا سأل الحبيب محبه وهو يودعه : متى يعود إليه ؟ فذلك سؤال غريب كالأسئلة الغريبة التى تتردد فى هذه القصيدة .

متى يطلع النجم للتائهين ؟ وقد غرقوا فى ليالى الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين ؟ وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما ء فى الماءِ يطفئُ حر الصدى
وفى الزاد يبقى ذماء الحيا ة ، وفى الخمر يعلو بها مُصعدا

* * *

متى ؟ إى وربك قل لى متى ؟! وسلهم عن اليوم والموعد
فقد يُقبل الزائر المرتجى ولا من مُلاقٍ له فى غَد ؟!

* * *

إليك مثال السؤال العجيب وأنت بأحلى مثال تجود
عشية تبسم عند الودا ع وتسأل : فى أى يوم أعود !

* * *

جمال يتجدد

كلما قلتَ لى الربيع جميلٌ قلتُ : حقاً . وزاد عندى جمالا
عجبًا لى . بل العجيبة عندى صور الكون كم يسعن كمالا
خلتُنى قد وعيتهن عِيانًا وتتبعت من وَعوها خيالا
شاعرًا عاشقًا وقارئَ كُتْبٍ قرأ الكتب دارسًا ، فأطالا
فإذا نظرةٌ بلحظك تبدى صورًا ما طرقن عندىَ بالا
بعدد الأنوار فى أعين الحب نعد الأكوان والأجيالا

* * *

النبض

رأوا فما عرفوا ، كلا ولا عجبوا
ولا دروا بالذى أرجو وأرتقب
كأنما أنا من أمسِى ومن غده
لم يختلف قط لى شجوٌ ولا طرب
فى مهجتى أملٌ فاضت بشائره
فمالهم حُجبوا عنه ، وما حُجبوا
فلو تشيم ضياءَ القلب أعينهم
لأبصروا فيه عين الشمس تقترب
كالفجر تسرى على مهل طلائعه
أو موكب النصر يدنو وهو يصطخب
الحمد لله ! لا شاموا ولا نظروا
ولا درى جاهلٌ منهم ولا أرِبُ
لو أبصروا الموعد الموموق مقتربا
لجفَّلته إذن من لؤمهم رِيَب
وهبَّ للشر منهم عسكر لجبٌ
إن يطلبوه لخير عزَّهم طلب
يا أيها الناس قرُّوا فى مضاجعكم
إنى وحقّكم أسوانُ مكتئب!
أسوان مكتئبٌ لا الحسن يفرحنى
ولا الحبيب له فى فرحتى أرب

وهاكم النبض جسوه . أعندكم
تحت الأضالع قلبٌ خافق يثب
كلا وحقكم ! لا كان حقكم
إلا اليمين التى يحلو بها الكذب !!

* * *

اليوم الموعود

يايوم موعدها البعيد ألا ترى
شوقى إليك ، وما أشاق لمغنم ؟
شوقى إليك يكاد يجذب لى غداً
من وكره ، ويكاد يطفر من دمى
أسرغ بأجنحة السماء جميعها
إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها
وتخطها قبل الأوان المبرم
ماضرَّ دهرك إن تقدم واحدٌ
يايوم من جيش لديه عرمرم

* * *

لى جَنةٌ يا يوم أجمع فى يدى
ما شئتُ من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهى
لاتحتمى منى ولا أنا أحتمى

وتطوف من حولي نوافر عُصْمها

ليست بمحجمة ولست بمحجم

وتلذُّ لي عنها الوهاد لذاذتي

بتصعُّد في نجدها وتسنُّم

لم ألمس بين كرومها وظلالها

إلا على ثمر هناك محرَّم

فكأنها هي جَنّة في طيِّبها

ركنٌ تسلل من صميم جهنم

أبداً يذكّرني النعيمُ بقربها

حرمان مزءودٍ[1] وغُصة معدم

وأبيتُ في الفردوس أنعم بالمنى

وكأنني من حسرةٍ لم أنعم

* * *

يا يوم موعدها ستبلغني المنى

وتُتم لي الفردوس خير مُتَمَّم

لا غصن رابية تقصَّر راحتي

عنه ، ولا ثمر يعز على فمي

سأظل أخطر كالغريب بجنتي

حتى أثوب على قدومك ، فاقدم

فأبيتُ ثم إذا احتواني أفقها

لم أنهَ عن أكلٍ ولم أتندم

---

(١) المزءود : المفزع المذعور .

فرحى بصحبك حين تشرق شمسه
فرح الضياء سرى لطرف مظلم

* * *

أسعيرتى خلد السماء سماحةً
صونيه من وله صيانةَ مكرم
رفقًا بخلدك أن تشوبى صفوه
إن لم ترىْ رفقًا بمهجة مغرم

* * *

ضياء على ضياء

على وجنتيه ضياء القمرْ نظيران يستبقان النظر
جمعتهما أنا فى لثمة أو البدر قبّله فابتدر ؟
فمازال يلحظه جهرة ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلة من أخ ففيم إذن قطفها فى حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ـب ولو شئت كللته بالزهر
لكن كرمتُ فخُذ يا قمرْ من الزاد ما تشتهى فى السفر

* * *

سهـا الليل عنا وعن بدره وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى وسُرَّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا ة ، وفى مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ة ، أنت شفيع لها مُدَّخر
لأجلك يصفو لها من صفا وباسمك يعذرها من عذر

شعر وشعر

أمن شـعـر ؟ نعم ! شـعـرٌ وشـعـرٌ
وخـفقٌ فى الجـوانح لا يقـر
فـمنى الوزن فى خـفـقـات قلبى
ومنك الوحى والحـسن الأغـر
وتسـألنى كـأنك لست تدرى
ومـالى غـيـر مـا أوحـيتَ سـر
وأحـرى بى سـؤالك عن قـصـيـدى
فـمـا لى فـيـه - بل لك أنت - أمـر :
أننـظـم فى غـدٍ أم لات نـظـم
على مـا ترتضـيـه ولات نثـر ؟
وعن شـفـتـيك لاشـفـتى أروى
عـشـيـة يلتـقى ثغـر وثغـر
فلقِّنِّى أجـبـك ولا تـسلنى
سـؤال الشـمس هل سيلوح فـجـر[1]

* * *

(١) ليس للشمس أن تسألنا : هل يلوح الفجر ؟ لأن الفجر يطلع حين تطلع هى ، وكذلك الحبيب لاينبغى أن يسأل الشاعر : هل ينظم شعراً ، لأنه ينظمه بوحيه .

الثوب الأزرق

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةً في البحر والسماء
جربها «مفصّل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ في الأزياء
مجوّد الإتقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزَّبد الوضّاء
زيّنته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسيماء
ولمعة العينين في استحياء
إن فاتني تقبيله في الماء
وفي جمال القبة الزرقاء
فلى من الأزرق ذى البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبّلٌ مبتسم الأضواءِ
مردّد النغام والأصداءِ
وقبلةٌ منه على رضاءِ
غنى عن الأجواءِ والأرجاءَ
وعن شآبيب من الدأماءِ[1]
وعنك يا دنيا بلا استثناء

---

(١) الشآبيب : أول مايظهر من الحسن ، وشدة اندفاع كل شىء ، والدأماء : البحر .

يــوم

ذهـب الـليـل ودار الـملـوان[1]
وشـدا قـبـل الـصـبـاح الكروان
وتحـداه الـغُـدافيُّ[2] الذى
تبـسط الرفق عليـه والحنان
ومـشى الصـبح على مـهل كـمن
يطرق الدار على غـيـر أمـان
وتـلـمـستُ هنا تغـريدةً
فى فـمى تصـدح فى هذا الأوان
قُـبلة منك هى الـفـجـر ، وفى
طيـهـا تبـدو ثناياها الحسان
عن شـمـالى كلمـا ولى دُجى
وسـرى فـجـر ، وحنت شـفـتان
وتـراءت نـظـرة نـاعـسـة
عند أخـرى ، فـتـلاقت نظرتان

* * *

بأن ليلى ! لاتسلنى كـيـف بان
أنت تدرى ، فـاختـصـر عنّ البـيان
كلـمـا يممتُ دارى قلتَ لى
أجناحـان لنا أم قـدمـان ؟!

(١) الليل والنهار .
(٢) الغراب - راجع ما تقدم .

فأتيتُ الدار لا أحسبها
قربت قط ، ودوني خطوتان
لم أكن أطلبها ويحي ولا
أطلب للهرب منها حيث كان
أين أمضي ؟ أين تحدوني الخُطا ؟
ضاقت الدار ، وضاق المشرقان
راعني نقصٌ بعيني ويدي
وفمي الصادي ، وقلبي ، واللسان
خلقْني بُدِّلت منها غيرها
ولو استبدلها الخطب لهان
أهزيعٌ منك يا ليل مضي ؟
أمضي نصف ؟ أما ينشطران ؟
بأن ليلي ! لاتسلني كيف بان
حاطك الله من الليل وصان
إي وربي بان لك بعد ما
نفدت ساعات عمري في ثمان
لا زمانٌ حيثما لاقيتني
فإذا فارقتني كان الزمان

* * *

طلع الصبح حزينًا عاطلاً
أتُراه كان بالقرب يُزان
وسرتْ أنفاسه يا حسرتا !
أين أنفاسك يا زين الحسان ؟

نسمات الصبح أورت [1] كبدى
فحجبت الأنف عنها والعيان
وتمشيت إلى كتبى على
مضض منى ، وللكتب أوان
يا أبا الطيب لاتهرف ويا
صاحبى الرومىّ ما هذا الرطان ؟!
شعراء الشرق والغرب أما
تملكون الصمت يومًا فى عنان ؟!
أو فهاتوا الشعر لى صرفًا بلا
أحرف فى الطرس منه أو معان
أفرغوه جملة فى خاطرى
ليس لى بالطرس والدرس يدان
رُبَّ شعر شاقنى لمّا تكدْ
شفتا قائله تنفرجان

* * *

وتجلى الباب لى عن زائر
من أودّائى كأنّا أخوان
فتعلّمتُ ولبى شارد
كيف يُكسى الود ثوب الشنآن [2]
قال لى : «الأفق جميلٌ» قلت : لا
بل دميم . قال : زاهٍ . قلت : قان !

---

(1) أورى الزند : أخرج ناره .

(2) البغض .

قال : زيدٌ . قلت :حاشا . فانثنى
نحو عمرو . قلت : كلا . بل فلان !
فمضى يعجب منى سائلا ؟
أسلام ؟ قلت : بل حرب عوان

* * *

ذهب اليوم وما أحلكه
كان من يوم نماه النَّيِّران
لم يكن فى صبحه أو ليله
حظ عين ، أو لسان ، أو جنان
ذاك يومٌ يا حبيبى واحدٌ
وغدٌ منه غنىٌ عن بيان

* * *

الحب المثال

كأنّىَ مثّال وحسنك تمثالى
عجائبُ حب ما خطرن على بال
فما أتمنى فيك معنى أريده
من الحسن إلا وافق الحسنُ آمالى
وأحلام قلبٍ فيك تسرى كأنها
خوالق أيدى الفن فى الذهب الغالى
تجول بأشكال الخيال وتنثنى
وقد أسعدت منك العيان بأشكال

إذا ما تمشَّت فيك معنى لمسِّها
محاسنَ أعطاف ورقة أوصال

إذا اقترحت عينى فأنت مجيبها
فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟

وما اقترحت إلا كما اقترح المنى
غنىٌ على وفر من الوقت والمال[1]

فما فيك من نقص ولكنما الهوى
نوازعُ شتى لاتقر على حال

فيا قدرة الحب المبارك أبدعى
لكل حبيب فى الصبا ألف سربال

وأجملُ من صوغ الدُّمى صوغ دمية
لها زينتاها من حياةٍ وإقبال

* * *

ساعى البريد

هل ثَم من جديد ... يا ساعى البريد

* * *

لو لم يكن خطابى ... فى ذلك الوطاب
لم تطو كل باب ... يا ساعى البريد

* * *

ما ذلك التنسيق ... والجمع والتفريق
والقفز والتعويق ... يا ساعى البريد ؟ !

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجة به إليها . وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

كسوتك الصفراء والخطوة العرجاء
يمشى بها الرجاء يا محنة الجليد

* * *

لو لم تكن جمالا فى مشية العجالى
صغنا لك التمثالا من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات فى حاضر وآت
إلا على الميقات : ميقاتك الوئيد

* * *

فى شرفتى أبتكر غيرك لا أنتظر
وإن سعى لى القمر يا ساعى البريد

* * *

كم لهفة نسيتها أماتنى مميتها
لقيتها ! لقيتها يا ساعى البريد

* * *

جددت لى انتظارى وقلة اصطبارى
عن طلعة القطار وطلعه النضيد

* * *

أكرم به من ثمر منتظر مدخر
فى كل يوم مزهر مبتدئ معيد

* * *

يا طائفا بالدور كالقدر المقدور
بالخير والشرور فى ساعة البريد

* * *

فى لحــــة تنتــــشــــر منك المنى والعـــبـــر
وأنت مــــاض تعـــبـــر كـــالكوكب البــعـــيـــد

* * *

كـن أبـدًا مـــــريـدى بالخـــبـــر الســعـــيـــد
وبابتــــســـام العـــيـــد يا ســــاعـى البـــريد

* * *

عجب الساعى

عـــجب «الســـاعى» الذى كنتُ له
أبدا فـى شــــرفــــتى منتظرا
إنّ من تحـــضــــر لى أخـــبـــاره
أيهـــا الســاعى بخـــيـــر . حـــضــرا
ألق إن شـــئت وطابًا حـــافــــلاً
لا أبـالى لحظة إن صـــــفــــــرا
الطريق الآن لا أرقــــبــــه
لأرى وجـــــهك . لكـن لأرى . . .
ولك الشكر ، ولى العـــذر ، فــــلا
تظهـــر الآن . فـــهـــا قـــد ظهـــرا
لا تـذكــــرنى نواه بعــــد مـــا
كـنـت تروى عنه ذكـــــرًا عطرا

* * *

الليلة الفطيم

بكت الليلة الفطيم شجاها

ما بكاء الفطيم بين الثدىِّ

الثدىُّ الحسان تبغى رضاها

ما لثغر الفطيم غير رضىٍّ ؟

لو أرادت لكان عند مناها

كل صدر ، وكل نهد شهىٍّ

أمها ! أمها ! وليس سواها

ذات صدر على الشفاه ندىٍّ

* * *

ليلتى . ليلتى الحزينة صبرًا

ليس هذا الفطام بالأبدى

سوف تُروين من أُميمك ثغرًا

فارضعى الآن من دموع الشجى

واذرفى هذه المدامع غزرًا . . .

هل يضير البكاء عين الصبى؟

من أذاب الشقاء عينيه شهرًا

فى ارتقاب النعيم غير شقى

* * *

قبلة بغير تقبيل

بعد شهر - أنلتقى بعد شهر ،
بين جيش من النواظر مَجر ؟ [1]
لم يحولوا - وحقهم - بين روحيـ
ـنا ، وإن ألزموهما طول صبر
تمت القبلة التى نشتهيها
كلها ، غير ضم ثغر لثغر
تم منها شوق ، ورفُّ شفاه
وهوى نيةٍ ، وخفق صدر

* * *

الحلم السالب

سبق الكرى يومَ اللقاء فنلته
فى غفوة تغفى العيون لكى ترى
حلم على اليقظات جار فليته
فى جوره أبدا يعود مكررا
لم يظلم اليقظات فهى إذا وفت
بلقائه ، سلبته من حلم الكرى
ما وعده إلا سعادة حالم
فالنوم كان به أحق وأجدرا

* * *

(١) الجيش المجر : العظيم .

والحلم المنتقم

لما تمليتُ فى الرؤيا محاسنه
هتفت لليل والظلماء والحلم
هذا انتقام الكرى من بطء موعده
وللكرى ربةٌ مشكورة النِّقم
يغار من طيفه السارى فيمطلنى
كأنما قال لى بالمطل : لاتنم !

* * *

فى البعد والقرب

لن يطيب البعد يومًا لن يطيبا
هنْ علىَّ اليوم إن كنت حبيبا
لاتكن نارًا من الشوق ولا
دمعة حرى ، ولا قلبًا كئيبا
لاتكن صحراء فى البعد وقد
كنت لى فى القرب بستانًا رطيبا
إن تغب شمسًا فأوص النوم بى
قبل أن تعرض عنى أو تغيبا

* * *

يا حبيبي - بل فكن ما كنت لى
صانك الله بعيدًا وقريبا

واجـــعل الأنـس نصــيــبى فـــإذا
غـبت عنى فـاجـعل السـهـد نصـيبـا
كن نعـــيـــمًـــا وعــــذابًا ، ومُنى
تملأ النفس ، وحـــرمـــانا مـــذيبـــا
هـكـذا الحب دوالـيـك فـــــــمن
لم يكنه ، لم يكن قط حـــبــيــبـــا

* * *

قـــراءة

على كـتـفى تمشى بعينيك فى الطرس
عجولا إلى شعرى حريصًا على لمسى
كـأنك لم تحـمـد مـدى الصـوت وحـده
فـــســابقــتـــه بالعين حـــينًا وبالحس
وعـانقـتنى تسـتوعب الشـعر حيـثمـا
ســـرى فى ثنيـات الجـــوانح والنفس
هنالك أدرى أن للشـــعـــر مـــجلسًـــا
إلى جانب العرش السماوى والكرسى

* * *

تســــلّم

تـسلّم هـذه الـدنيـــــا كـمـــا خلفــتـهـــا عندى
وحـــاسـبـهـــا على قـــرب بما تجنى على البـــعــــد

* * *

تـسلّـم هـذه الـشـــمـــــس التى تؤنس أو تهـــدى
لقـــد كـــانت هداها اللــه مكســـالا من المهـــد

تجـوب الأفق فى جـهـد ... ومـا تسـرع بالجـهـد
وكـانت تحـجب الأنو ... ار أو تُبـدى فـلاتجـدى
وكـانت شـعلة حـرّى ... من اللوعـة والوجـد

* * *

تسلّم هذه الأطيـا ... ر واسألها عن العـهد
تُغَنِّى الآن فـاسألهـا ... أغنت قط لى وحـدى ؟
وإن غنَّت فـهل كـا ... ن سوى نوح لها مُغْـد
وإنْ أعـدَت فـهل تُعـدى ... بغير الشجو والسـهد ؟
نعم سلهـا جـزاها اللـ ... ـه : أين تحـيـة الورد
وأين تحـيـة الإلف ... وأين تحـيـة الفـرد
لقـد كـانت لحـاها اللـ ... ـه تطويهـا على عـمـد
فـسلهـا فـيم تطويهـا ... وفـيم تضن أو تسـدى

* * *

تـسلّم أنجم الـليـل ... بلا عـدٍّ ولا حـد
تسلمـهـا وكـاشـفـهـا ... بما تخـفى ومـا تبـدى
وسلهـا كـيف ضلتنى ... ومـا ضلت عن القـصـد
وفـيم تغـامـز منهـا ... إذا حـيـرنى قـيـدى
نعم قـيـدى الذي فى النـ ... ـفس لا فى صفحة الجلد
أهزلا تهـمـس الأنجـ ... ـم أم تهـمس عن جـد ؟!

* * *

تسلّم زهرك المحـبـو ... ب فى السهل وفى النجد
تراه ضـاحك العين ... تراه نـاضـر الخـد
فـسله مـا عـراه أمـ ... ـس حـتى لاذ بالرشـد

فـــلا يلهـــو ولا يُوصى بخـــيـــر الهم والزهد
فـــمـــا عن لومـــه فى ذا ك يا مـــــولاه من بد !

* * *

تسلم هذه الدنيــــا كــمـــا خلقــتـهـــا عندى
بحـــمـــد الله تلقــاها كــمــا تلقـاك بالحـمــد
فـخـذها راضـيـا عنهــا وعـــنـــى وعـــن الـــود
وعلمـــهـــا إذا مـــا عـــدت ـ لاعـــدت إلى البـــعـــد
أمـــانا فى مـــغـــيب منـ ـك أو فى محـضـر رغـد
فـــمـــا تســمع لى قـــولا إذا ناجـيـتـهـــا وحـدى !

* * *

الفنجان

أتؤمن بالفنجـان ! لا يا صـديقـتى
بنـحـرك لا الفنجــان أصـدق أيمانى
إذا هو أعطانى الســـعـــادة فلتكن
نبـوءتهـا فى الكأس أوسـؤر [1] فنجـان
وإن يكن المغـــزى هناك خـــرافـــة
فـنـحـرك صـدق فى ابتســام وتبـيـان
وفى كـــوثرى من رضـــاب مـــعطر
وفى جـــوهرى من ثناياه فـــتـــان

* * *

(١) السؤر : ما يبقى فى الإناء .

قربى

تقـــربى لله بالدعـــاء · وأنت قُربَى الأرض للسماء
ليس مكان فى السماء كلها · عن شاعر أو عاشق بناء
رب صلاة علمت مُصليا · إجابة الصلاة والرجاء
ورفعت من طينة الأرض إلى · عرش الضياء سُلّمَ ارتقاء

* * *

كأس وضوء

هنا ـ ويا حسن ماضمت هنا ـ قدحُ
تُغـوى قلوب العطاشى أىَّ إغـواء
فى كل قطرة مـــاء ههنا أثرٌ
من قالب الحسن فى روح وأعضاء
مـــرت بقـــدك تحكيــه ، وربّمــا
حكَى الوضوء جمال الروح فى الماء
فلو تعود كما لامستها رسمت
مثالك المفتدى فى مهجة الرائى
تطهـــرت بك لما أن طهــرت بهـا
عند المصلى ، وزادت حسن إيماء
وصافحت منك تقوى الروح فى جسد
يغـــزو التقـــاة بأشـــواق وأهواء
هذى خلاصة إنسان مقدسة
ليست خلاصة أعناب وصهباء

أمخطئ أنا إن أحسست فى كبدى
شوقين من نشوة فيها وإرواء
فكم أغالب من إغراء سكرتها
مالا يغالبه ظمآن صحراء
تنازع الدين والغى الهيامَ بها
وقربت بين إسعاد وإشقاء
فليت شاربها يدرى أحصته
عند الخضيراء أم عند الحميراء [1]
خوفى - ويا طول خوفى - أن تمزقنى
كلتاهما يوم إحيائى وإحصائى !

* * *

رقية السهر

تجلت آية الكرسـ	ـى ، ما أعلاه كرسيا
أظلّ سباتها عينـ	ـىّ حين لمست عينيا
أترقين من السهـ	ـد وما أبغى له رقيا ؟
سروراً بك هجرانى الـ	ـكرى المحبوب والرؤيا
دعى الرقية للسهد الذ	ى يدعونه نأيا
وللنوم الذى ألقا	ك فيه حين لا لقيا

* * *

(١) الخضيراء : كناية عن الجنة الخضراء ، والحميراء : كناية عن جهنم الحمراء .

المنديل

تعاشق لحمة [1] وسدى
ورف خافقًا غردا
وآخت طرّتاه [2] يدا
على عهد الهوى ويدا
وقبل النسج كم ساغ الـ
ـصفاء سحابة وندى
وناغى الطيرُ صاحبَه
على شجراته ، وشدا
وعاشت فى الرضى شجرا
ته مخضرة أبدا
فيا منديل لا تبرح
بعهد الحب منعقدا
عريقٌ أنت يا مند
يل روحا فيه أو جسدا
إذا صنت الوديعة لى
فلا بدعًا ولا فندا

---

(١) لحمة الثوب : ما نسج عرضا ، وسداه : ما امتد من خيوطه .

(٢) الطرة : طرف كل شىء وحرفه .

وإن تحفظ أمانتها
حفظتك أنت مجتهدا

سنسأل عن شذاك غدًا
وبعد غد ، وأن بعدا

فصن سرّ السؤال لنا
ولا تخبر به أحدا

***

من الكتان يا نسا
ج ، فانسج كل ما خلدا

وعَى خلد الفراعـ
ـين ، وزان عروشهم أمدا

ومن يرض الحرير به
بديلا ساء ما اعتقدا

فماذا تنسج الديدا
ن من ذكرى لمن سعدا

وما الديدان والذكرى ؟
ومن ذكر اسمها جمدا ![1]

هو الكتان يا نسا
ج ، فانسج منه منفردا

***

(١) الحرير من نسج الديدان ، وهي تذكر الإنسان بالموت والقبر ، فيحمد من يذكرها خلافًا لمن يذكر الكتان ، فإنه يذكر الخضرة والطير والشدو والحياة .

بيوم كان للمنـد
يل قُدّس لُحمة وسدى
وقُدّس قبله مَن أنـ
ـبت الكتان أو حصدا
وقُدس مثله من قا
م عند النَّول أو قعدا
وقُدّس كل من نادى
به في السوق ، أو شهدا

* * *

حلم اليقظة

أين مضى الحلم الذى كنت أراه ههنا
إذا صحوت والتفـ ـت عن شمالى مَوْهِنا (۱)

* * *

كنتُ إذا ما قطّعَتْ نومىَ صحواتُ السهرْ
غبطتُ عينىّ وأغضيـ ـت عن النوم النظر

* * *

وكان عندى حلمًا فى يقظة اللوذ اللذيذ
أسمعُ من أنفاسه نسمة فردوس بعيد

* * *

(۱) الوهن والموهن من الليل بعد منتصفه ، أو بعد ساعة منه .

أســــعـــد مما فى الكرى من راحـــــة ومن أمل
ومن خـــيـــال لا يحـــدُّ ومــــعــــانٍ لا تمل

* * *

فــالآن أبشــر يا كــرى! كل جـــفـــونى الآن لك
حـــتى أعـــود فـــأرى فى جـــانبى ذاك الملك

* * *

ليلة

بـيـنـى وبـيـنـك لـيـلـة يا ليلة القـــرب الأمين
يا حـــبـــذا لو تـســرعـ ـين ، وحـــبـــذا لو تطفـرين
وإذا أتيت فـــحـــبـــذا لو تلبـــثين فـــتـــخلدين

* * *

عروس الليالى

عـروس الليـالى تهـبط اليـوم من عَلِ
وتدنو على طول النوى والتـــدلل
سَرَت بين شـرقٍ من ضـيـاءٍ ومـغـربٍ
وبين جنوبٍ من ضـيـــاء وشـمـــأل
كــأنى أراها مـن دهور بعـــيـــدة
لطول اشـتـيـاقى وجـهـهَـا وتأملى
فــيــا ليلة القـــدر المؤمّل أقـــبلى !
تعـــالىْ أقَـــبِّلْ منك كلّ مـــقـــبَّل
خـذى لك جـثـمـانًا يضـمُّك عـاشقٌ
قليلٌ لديه صـــورة المتـــخـــيّل

وتيهى بوجه من صباحك مُشرق

وميلى بفرع من مَسائك مُسبل

سأبديك شعراً يملأ السمع شدوه

إذا ضنت الدنيا بجسم ممثل

* * *

ثرثارة

أراك ثرثارة فى غير سابقة

فهات ما شئت قالا منك أو قيلا

ما أحسن اللغو من ثغر نقبله

إن زاد لغواً لنا زدناه تقبيلا

* * *

ثروة النصيب

مَنَّيْتنى بالثروة الجلل

وبنيت لى داراً على عجل

وإذا «النصيب» أصابنى احتفلتْ

دارى بحسنك كل محتفل

حسبى إذا عز البناء غدا

فى ساحة بالسهل والجبل

دور تؤسسها وتعمرها

فى ساحتين : الحب والأمل

* * *

قرنفلك

قرنفلك الذى يحكيك حسنًا ... أتعلم أنه يحكيك سمتا[1]

تعمد لونه فتجنبوه ... على حذر، ولم تحذره أنتا

له عطر شبيه هواك فرد ... وألوان من الإحساس شتى

* * *

النجوم السواغب

أرى أعينًا قد وصوصت فى سمائها
أتلك النجوم الناظرات سواغب ؟

موائد حب تشتهيها ودونها
مصاعب لاجتازها وغياهب

نعمت بها فى ليلتى، وهى فوقنا
تمدُّ لها ألحاظها وتراقب

ومسكينةٌ هذى الكواكب فى الدجى
ومسكينةٌ تلك الورود الشواحب

فهاك حلى من ثغور ما أنا شاربٌ
ثمالة كأسى كلها يا كواكب

وخذ يا نسيم الليل عشرين قبلة
وخذ مثلها يا روض إنك غاضب

---

(١) السمت : الطريق ، وهيئة أهل الخير. (٢) سهم وجهه : عبس وتغير.

غنيٌ أنا بالحب، عــاش الذي به
غنيت، وإني إن غنيت لـواهب!

* * *

النيل الغاضب

أَساهمٌ[1] يا نيل؟ لست أدرى! أم ناقم يا نيل طول هجرى
فرب شهر مرَّ بعد شهر وعام سوء بعد عام شر
ولا بشفع زرت أو بوتر

* * *

لاقيتني يانيل والحبيبا كما تلاقى طارقًا غريبا
وزدتنا كيدًا لنا مريبا، أغريت يا نيل بنا الرقيبا
يكاد يحصى سره وسرى

* * *

وكيف يانيل إليك حجى ولم أكن أخاف أو أرجّى
بل كيف يهدينى إليك نهجى وقد هوى نجمى وضل برجى
وعز قربانى ولاح عذرى

* * *

(١) سهم وجهه : عبس وتغير.

ذاك الذى كنتَ معى تراه | غيرى إليك ربما دعاه
فقد هدانى كاهن سواه | إليك يرعانى كما أرعاه

بعد ضلال فى الهوى وخسر

* * *

يا نيل أما الآن فالمزار | عندى له المنسك [1] والشعار
فلايغيب فى الدجى نهار | أو ينجلى عن بدرنا السرار

ألا سرينا لك حين يسرى

* * *

يا نيل فاشغل حولنا العيونا | إذا وردناك مسبحينا
تلك عيون تكره السكونا | ومن يحيون ويسعدونا

لا رضيت عنى ولا عن بدرى

* * *

نجوى النجوم

بحسبى الأنجم الزُّهر | فلا شمسٌ ولا بدر
ترينا عزلة النجوى | ففيها للهوى سر
وفى لحتها همسٌ | كما يبتسم الثغر
كهمس الشيخ قد سُرَّ | بأحفاد له سرُّوا :
خذوا الدنيا خذوا الدنيا | وغروا العيش واغتروا
دريت الحكمة الكبرى | فأدراكم هو الغر

* * *

(١) مناسك الحج : عباداته ، وشعائره : علاماته ومناسكه أيضاً .

بحسبى الأنجم الزهر فلا صبحٌ ولا فجر
سواحر تنبئ الأحبا ب ، والليل لها سفر
رصينٌ صوت نجواها وديعٌ حولها الدهر
لها ستر وما للشمـ ـس أو بدر الدجى ستر
لها الشكر فقد سرت حبيبى ، ولها الفخر !

* * *

كلماتى

كلماتى ! كلماتى ! صدق الوعد فهاتى
هل معينى وحيك الصا دق أو وحى اللغات ؟
أنا أستأديك [1] مالم تبلغيه بأداة
من معان تتعالى عن لسان ولهاة [2]
فاسألى الأرباب عن تلـ ـك المعانى الخالدات
أوسلى الصمت فكم صمـ ـت له علم ثقات
ينتهى شأو الأحاد يث إليه والرواة
وبه لاذ هداةً عرفوا وحى النجاة

* * *

انظرى يا كلماتى وأصيخى فى أناة
ما ضياء ثم فى الأفـ ـق ، وفى كل الجهات
لا من الأرض ولا من دارة الأفلاك آت

---

(١) استأداه الشىء : طلب منه أداءه .
(٢) اللهاة لحمة مشرفة على الحلق .

لا تراه غـــيــــر عـــيـنى وهــو مــلء الــكــائــنــات
هل يرى الدنيــا امــرؤ لم ير منه قــبــســـات ؟
كلمـــاتى أنت فى وا د من التــيــه شــتــات [1]
اســـألى الأرباب عنه أو سلى الصـــمت وهاتى

* * *

كلمـــاتى مـــا تقـــولـ ـين إذن يا كلمـــاتى
مـــا نعـــيمٌ يمنح الكـ ـف غـــذاء المهـــجـات
تقـــصـــر الألبـــاب عنه وهو بعض اللمـــسـات
فى يدى أدعـــوه خـــصـــرًا تـــارة أو زهـــرات
فى فـــمى أدعـــوه ثغـــرًا تارة أو قـــبـــلات
وفـــؤادى ؟ مـــا اسم مـــا فيـ ـه إذن يا كلمـــاتى
اســـألى الأرباب عنه أو سلى الصـــمت وهاتى

* * *

نـشـــوات تلك ؟ لا بـل تلك فـــوق النشـــوات
يـقـظـات تـلـك ؟ لا بـل تلك غـــيـــر اليـــقظات
بلغت منهـــا مـــداها وارتقت مـــرتفـــعـــات
تسلس اليــــقظة للوصـ ـف وتصـــغى وتؤاتى
فـــإذا جـــازت مـــداها لزمت صـــمت السبـــات
كلمـــاتى ! مـــا تقـــولـ ـين إذن يا كلمـــاتى
اســـألى الأرباب عنهـــا أو سلى الصـــمت وهاتى

* * *

(1) الشتات المتفرق .

لحظة تمنح قلبى | كل هاتيك الهبات ؟
لحظة ترفع عمرى | حقبا متصلات ؟
رب عمر طال بالرفـ | ـعة لا بالسنوات
لحظة ؟ لا بل خلود | لاح بين اللحظات
كالسماوات تراها | من شباك الحلقات
رب أباد تجلت | من كوى [٢] مختلفات
وقطيرات زمان | ملأت كأس حياة
وإذا ما طغت الكأ | س فقل فى السكرات !
سكرة تُغشى وأخرى | تغتلى بالصحوات
هكذا بتنا رفيقـ | ـين لزيمى لثمات
غائبٌ غاف ، وصاح | لخفيف الهمسات
كلماتى ، ما تقوليـ | ـن إذن يا كلماتى
اسألى الأرباب عنا | أو سلى الصمت وهاتى

* * *

أين أملاكٌ على | أبراجها المطلعات
تصقل الآفاق فى الليـ | ـل وتجلو النيرات
لا أرى الدنيا على نو | ر الليالى الغابرات
أين ؟ لا بل ندع الدنيـ | ـا وراء الحجرات
نورنا الليلة مصبا | ح وليد اللمحات
غض جفنيه حياء | من غضيض النظرات
شفقياً أو فقل إن | شئت فجرى السمات
عجلنا بارك حتا | عجلتى البركات

---

(٢) جمع كوة ، وهى فتحة فى الحائط .

سبحتْ عيني ونفسي ويدي في غمرات
في كنوز منهما أيٍّ كنوز مغنيات
ثروة أنفق منها لحياتي ومماتي
ولبعثي يوم أن تبعث في الطرس وُصاتي
كلماتي ! ما أراك اليوم إلا خاذلاتي
عنك أغنتني كنوزي وكنوزي ملهماتي

* * *

سمعتني كلماتي واستعادت دعواتي
ثم قالت في حياء كالعذارى الخفرات
باح لي الصمت ولكن فاتني أي فوات
قال ساموك عسيرًا في التمني يابناتي
ارجعي ، ثم أعيدي ثم عودي صاغيات
مرة أو عشرات وإذا اسطعت مئات
ما بدرس واحد تُو فين هاتيك الصفات
هكذا يا شاعري ألـ ـهمني الصمت فهات
هاتها وافرح بإحسـ ـاني وراقب حسناتي
لايبوح الصمت إلا درجات درجات

* * *

كلماتي ! صدق الصمـ ـت . أجل يا كلماتي
غير أني لا أعيد الأ مس إلا بصلاة
مرجع الأمر لمن ضمـ ـت رجائي وشكاتي
يملك العودة من أحيا من الأرض الموات
فابعثي الصمت إليها في خشوع وتقاة
ربما أعطت وإن لم تسألي يا كلماتي

يوم يبحث عن ذكراه

يوم بحثنا عن تاريخه لنحتفل بذكراه ، فإذا اليوم الذى خطر لنا فيه هذا الخاطر هو يوم الذكرى بعينه ، فكانت مصادفة من أعجب المصادفات :

لم يطوه الزمن الماضى ولا احتجبت
في ذمة العام بعد العام سيماه
خلناه فى الغيب منسيا فذكرنا
بنفسه اليومُ فى إلهام نجواه
قمنا لنبحث عنه فى صحائفنا
فكان ميلاده ميعاد ذكراه
يا يوم أول لقيا بيننا عرضت
ثم انطوى عهدها حتى بعثناه
نعم بعثناه فى حب إذا ذهبت
مزية العمر لم تذهب مزاياه
مبارك يومُ عيد فى عواقبه
لم يسهُ عنا وما كنا لننساه
لما بحثنا لنلقاه ونذكره
إذا به باحثًا عنا لنلقاه !
سرٌّ من الله فى روحين ما برحا
من قبل لقياهما يرعاهما الله

هبوط النفس

إذا هبطت نفسى فلم تبلغ الذرى
من الحب فارفعها ، وكن أنت عاثرا
فللحب أوجٌ فى العلا قلما ارتقى
بنو الأرض الا مُرتقى منه ناعرا
وددت لو أنى لا أفارق أوجَهُ
ولا أستوى فى الأرض ، لو كنت قاهرا
ولكنها حرب مع الدهر لم يزلْ
بها القلبُ مقهورا هناك وقاهرا
فلا تحسب القلب المشرد غاضبًا
ولا عاتبًا ، وأحسَبه أسوان حائرا
وإن تكُ يوما فى الصعود مؤازرى
أكن لك يوما فى الصعود مؤازرا
ولست على مثواى فى الأرض نادما
إذا كنت لى نجما على الأفق سافرا

* * *

سحر السراب

هذ سرابك جنةٌ تُغرى — يا فاتنى بالقرب والذكر
صحراء بُعدك ما خلت أبداً — من كوثر فى أفقها يجرى
لكنه يغرى وليس به — ريٌ ، وعندك لجة النهر
وإذا السراب خَلَتْ كواثره — من مائها لم تخل من سحر
فافتن بذاك وذاك يجمع لنا — أمنَ المقيم ، ولهفة السَّفْر (١)

---

(١) السَّفر : المسافرون . والمعنى : أن فى البعد سحراً كسحر السراب الذى يفتن بالشوق والأمل ولكنه لايروى ، وأن للقرب فتنة الرى ولكنه لا لهفة فيه ، ومن عرف الفتنة بالسحرين جمع بين أمن الإقامة للقرب ولذة السفر .

عالمنا

في الحب والشعر والإخلاص عالمنا
دعنا من العالم الموبوء بالدنس
إذا نظرت حوالينا فلستَ ترى
إلا السماوات في مرأى ومُلتمَس

* * *

هجو

هجوتك في بيتين جهدي فلاتخف
وسلني ، فإني قائل لك بيتين :
أقول رعاك الله إنك محنةٌ
وطول عناء حين تغرب عن عيني
وقلتُ وما أتممتُ بيتين أنني
شقيٌّ بما ألقاه منك على البين

* * *

هجو آخر

هذا الدلال علاما ؟ أكان حتما لزاما ؟!
تغيب عني فيمسي يومي من الدهر عاما
وإن سمحت بقربي قصَّرت لي الأياما
تزهى بهذا ، فهلا خشيت فيه الملاما ؟

* * *

الوساوس

أنا ســــاهرٌ والليل دامس ويل الحب من الوســـاوس
ومن الغــد الخــافى ومــا من زحـفـه المأمـون حـارس
ومـن الـذى بالأمس كـــا ن ، وريبـهُ فى الصـدر هامس
ومن الذى تُخـفـيــه تلـ ـك الأعين السـود النواعس
ترنو إليك وخلفـــهـــا فى القلب سرٌّ عنك خانس
ودع الغــيــاب ومن يجـا لس فى الغياب ومن يؤانس
ودع الحـــفـــول ومن يُرا قص فى الحفول ومن يلامس
يا لهــفــتــا إن قــيل لا ہِ بينم أو قــيل عــابس
هذا ذاك كـــــلاهمـــا راضٍ بـه قـلـبـى وبـائس

* * *

لاتـــنـــأ عــنـــى إن لـــى فى كـل نأى ألـف هاجس
هى من شــيـــاطين الظلا م وأنت مثل الصبح شامس
أشــرق عليــهــا ينصــرف منهـا المســالم والمشــاكس
لاضـــيـــر عندى أن تعــيـ ـش إذا انجلى ليل الوساوس

* * *

رجاء اللقاء

رجــائى بأن ألقــاك بدّد وحـــشـــتى
فكيف إذا أمـــســيت أنت مــؤانسى
أراك فـــتنجــاب الوســـاوس كلهـــا
وأنت إذا مـــا غـــبت كل وســاوسى

شكوك العاشق

رأى ابنًا فى الكرى زهقا ... فهبَّ مروعا قلقا
يضم وليده ثقة ، ... وينسى أنه وثقا
ويخفق قلبه فزعا ، ... ويفزع كلما خفقا
إذا ما خاف ذو شغف ... فذاك المارد انطلقا

* * *

كذاك الشك فى قلبى ... إذا ما طاف أو طرقا
أكذبه ، ويحزننى ... كأن نذيره صدقا
فديتك لاتعدى الحز ... ن من ذنبى ولا الفرقا
فمالى بالخيال يدٌ ... إذا ما خال أو خلقا
يوسوس لى فأسمعه ، ... كذلك كل من عشقا !

* * *

صفقة مغبونة

أرانى فى غرامك لا أجازى
وإن جازيتنى حبّاً بحب
ألم يسع الزمان الرحب قلبٌ
وهبتكه ، وقلبك غير رحب ؟
فكيف وعند قربك لى شريك
وما لك من شريك عند قربى ؟
جهلت الحب إن أعطيت قُلبا
يقيم على الوفاء ، بنصف قلب

* * *

بلدى

أمحل الدهر واطّردْ ... لا خميسٌ ولا أحد
لا انتظارٌ لموعد ... أو هيامٌ بمن وعد
كل أيامنا تسا ... وين فى الوسم والعدد
صبحها مثل ليلها ... والتقى أمسها بغد
تنقص العمر كلها ... وبها العمر لم يُزد[1]
لم تزد ماضيًا وقد ... نقصتْ مقبل الأمد

* * *

قد رجعنا كما بدأ ... نا فما الخوف والكمد ؟
كان لى الحزن موطنًا ... فتباعدت ، فابتعد
ثم عدنا فهل ترى ... واجدًا خاف ما وجد
بلدى أنت بى أبـ ... ـرُّ ، فلا بنتَ يا بلد

* * *

ميناء قلب

تم قرير العين والنفس فما
لك فى قلبى سوى الحب الطهور
أنا إن لم أكرم الصاحب فى
غيبة ، إنى إذن جِدُّ كفور

* * *

أنت مينائى إذا البحر طغى
واكفهر الليل ، واستعصى العبور

---

(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ، ولكنه يزيد فى ثروة الماضى ، أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماضٍ أو حاضر.

هب به بعض صـــخـــور أثرى

أنفض الأســوار حــولى والجســور

لا وحـــبى ! بل قـــصــاراى إذن

أننى أعــرف هاتيك الصــخــور

فـــإذا جــاورتهــا جــاوزتهـــا

غــافــرًا مــا شــئت ، والحب غــفــور

بل أرانى شـــاكــرًا لا غـــافـــرًا

وشـــبـــيـــهـــان غـــفـــورٌ وشكور

* * *

نم قــــرير العين والخـــاطر يا

أكــرم الأحــبــاب فى الدنيــا الغــرور

لاتخف فى الغـــد شـــرًا من أخ

وَدُّ لَوْ ينجــيك من مــاضى الشــرور

فى أمــــــان أنـت مـنـى وأنـا

فى أمـــان منك ، والدهر يدور

أنا أدرى بك مـن نـفـــسـك يا

طاهر النيـــة فى كل الأمـــور

إنمـــا تـــخـــطـــئ مـــن حـــب إذا

أخطأ الإنســـان من غش وزور

ويح قلبى أنا إن أحـــزنت من

هو فى الحب على الحـزن صبـور

كـمــا قــسـا منى وكم جار الهوى

والهــوى منك رحــيم لايجــور

لك من عطف شـــــفـــيع دائم
وشـــفــيـعى عندك الوجــد الثــؤر
نم قـــــرير العين والخــــاطر لا
قـــر ذو ضـــغن ولا نام غـــيـــور
خلِّ جـــهـل الناس فى ظلمـــائه
واجل لى حـــبك نورًا فـــوق نور

* * *

فوق الحب

صـــاحـــبى من ســـروره وســـرورى
فى صـــفـــاء الزمـــان يلتـــقـــيـــان
وصـــديقى من اســـتـجـــد ســـرورا
من ســـــرورى ، وإن تناءى مكانى
وحـــبـيـبى مَن قلبـه كـيـفـمـا كـا
ن ، وقلبى فى الشـــجـــو يســـتـــويان
فـــالذى يرتضى العـــذاب لأرضَى
كيف أدعوه ؟ ما اسـمـه فى البيـان ؟
ذاك فـوق الحـبـيب إن كـان فـوق الحـ
ـــب شىء يُرجى من الإنســـــان
ذاك فـــيـــه من صـــبـــغـــة الله ســـرٌ
جلّ عن صـــبـــغـــة الوجـــود الفـــانى

* * *

سريان روح

لاتسلني متعبٌ أنت فما
تتعب الأرواح في عُليا السماء
بجناحين من الحب ومن
حسنك الخافق ، ينقاد الفضاء
طرت لا أشكو المدى من تعب
حين صاحبتك في ذاك المساء
لم أكن ألمس أرضاً إنما
كنت أسرى حين أمشي في ضياء

***

توكيد

أحدث نفسي بالفراق وأخشاه
كما تقذف الأم الوليد لتلقاه (١)
هو الشيء لاتدري بفرط وجوده
ولاحبه إلا إذا غاب مرآه

***

جواز الحياة

قالت : جوازك ؟ قلت : هاك !	حب أنال به رضاك
فدخلت في خدر الحيا	ة وراء ألفاف الشباك
أبرز جوازك تقتسم	دار الحياة على اشتراك
أو لا فأنت ببابها	أبدا تحوم بلا فكاك

(١) الأم إذا قذفت بابنها في الهواء ثم تلقفته شعرت بالخطر عليه ، ثم شعرت به بين يديها فكان في ذلك توكيد وجوده ومضاعفة السرور بالأمن عليه .

الخرافة الصادقة

دعنى أثوب إلى العــراف أســأله
فــالحب علمنى صـدق الأســاطيــر
جـلا عـجـائب دنيـا لانظيـر لهـا
فى زعم مـخـتلق أو وهم مـسـحـور
فـإن أبتْ مـؤمنًا بالسـحـر لاعـجب
هذا هو السـحـر فى حسـى وتفكيـرى

***

علم الحب

إذا سـاءت الدنيـا فـفى الحب مهرب
وتحـسن دنيـا من أحـاط به الحب
فـبـالحب تدرى الحـسن والقـبح عندها
وفى الحب علم لاتعلّمـــه الكتب

***

الثوب الرشيد

فــرحـات قلبك بالجـديد ... من فرحة الطفل السـعيد
أخـجلت بالثـوب الرشـيـ ... ـق وأنت صاحبه الفريد ؟
هو لايعـاد فـمـا لقـدّ ... ك من مـعـيـد فى القـدود
خلّ الحـــيــاء لمن يلو ... مك واحلُ أنت كـمـا تريد
أولى بالاسـتـحـيـاء من ... عـذل الجـمـال على المزيد
كل الثـــيــاب لمن يز ... ين ثيـابه عفٌّ حـمـيـد
فـافـرح بحلتك الجـمـيـ ... ـلة فالجميل هو الرشيد

لو ترتدى ثوب الوقـــا ... ر وهيبة العمر المديد
للبستها فرحا بها ... كالطفل في الزى الجديد

* * *

عمر شعر

شعرى القديم عشقته وحفظته ... وحييت فيه حقيقة وخيالا
وجديد شعرى إن نظمت فإنما ... لك بت أنظمه ، وفيك توالي
فكأنَّ حبى كان عندك كله ... رهناً بحسنك مبدأ ومآلا
فاحرص على قلب أباحك ماضياً ... منه وحاضره والاستقبالا

* * *

الحياء فى الحب

صن من حيائك مايذكرنا على
طول التآلف أننا جسمان
واخلع حياءك يوم ينسى أننا
قلبٌ تفرَّد ماله من ثان
الحب أجمع حين تعلم سره
في ذلك التذكار والنسيان
قلبٌ يرفرف في جوار قرينه
لا القلب مبتعد ، ولا هو فان
متفرقين لبعضها ، فإذا التقى
حظاهما فسروره ضعفان
ويلذ بالثمر الجديد كلاهما
كالحور تحت عرائش الرضوان

عتــاب

أيهـــــا المانع الرســـــائل عني
هل يكون الوفــاء كُــتــبًــا بكتب
هب ردودى أبطأن عنك فـــقل لى
من أقـــال البـــريد من كل ذنب؟!
لا التــحــدى ، ولا التــشــاغل ، يُرضى
من حــبــيــب مــعــاتب ، أو مــحب
ضـــامنٌ أنت إن تسلفت عـــذرى
حــسن ظن بالود أو ، حــسن عــتب

***

لقاء شجى

هل عـــــجب فى الحب برح الأسى
بعــد ابتــهــاجى بلقــاء الحــبــيب؟
هاتيك نفـسى استـجـمـعت نفـسـهـا
فــابسط لهـــا عــذر اللبــيب الأريب
لاتجــــــمع الأنفـس أجـــــزاءها
مــابين نابٍ حـــولهـــا أو مـــجــيب
إلا أطــالــت نـظـرات لـهــــــــا
فــيـمــا بدا منهــا وفــيــمــا يغــيب
يا رحـــمـــــة للقلب من نشـــوة
يشــابه النشــوان فــيــهــا الكئــيب

***

مولد
أو نشوء وارتقاء

زانك الله بصفو وسلام يا شتاء
طال بى فكر الليالى أو ما فيك عزاء ؟

* * *

قال لى : هاك فخذها زهرة منى إليك
ذات حسن وحياء ولها فضل لديك
وسمت بالفكر [1] فاقبس فكرة فى راحتيك
قلت حقاً يا شتاء هى حسن وجياء
غير أنى ، وهى صمت ، ليس لى فيها عزاء

* * *

قال يرضيك إذن شا دٍ من الطير مُجيد
هو للجنة [2] يُدعى وله منها نشيد
يعشق النيل وإن لم يك فيه بوليد
قلت حقاً يا شتاء هو حسن وغناء
غير أنى ، وهو صوتٌ ليس لى فيه عزاء

* * *

قال يرضيك إذن سا ر من البرق بشير
يصدع الظلماء ، يزجى عارض الغيث ، ينير
فيه من قلبك نبض ومن اللمح سمير
قلت دعنى يا شتاء من شعاع فى فضاء
إئذا جاد بغيث كان لى فيه عزاء

* * *

(١) المقصود - كما يظهر من هذا الوصف - زهرة الثالوث المشهورة بزهرة البنسيه ، وهى كلمة ترادف بالفرنسية كلمة «الفكرة» ، وتظهر هذه الزهرة فى الشتاء . (٢) عصفور الجنة .

قال : والشمس؟ فما ظنـ ـــك بالشمس ذكاء [1]
كلما عادت بها سبـ ـــح عشاق السماء
فيك منها لمحة حـ ـــرى وطهر وضياء
قلت حقاً يا شتاء هى نور ورجاء
غير أنى ، وهى صبح ، ما عزائى فى المساء ؟

* * *

قال لى أنفدتُ كنزى كله بين يديك
غير ذخر من بنى الإنسـ ـــان أبقيه عليك
فيه من صبح ومن ليـ ـــل قصارى غايتيك
أتراه ؟ قلت حقاً هو فى الدنيا العزاء
هو حبٌ وحياة وربيع يا شتاء

* * *

من بنى الإنسان فى ذ ات شتاء وُلدا
زينة للعين والـ ـــحب وللقلب بدا
طاهر كالمزنة البيضا ء صاف كالندى
كبنات الروض مفتـ ـــنٌّ الحلى جمُّ الحياء
وارف كالظل مُحيٍ فى شذاه كالهواء

* * *

يا شتائى فيم إخفا ؤك ذاك السرٌّ عنى
أى روض ؟ أى برق ؟ أى شمس فيك أعنى ؟
أنا مستغنٍ به عنـ ـــها فماذا عنه يُغنى ؟
قد تعلمتُ وأتقنـ ـــتُ أفانين السخاء

---

(۱) فى أساطير الأقدمين : أن الشمس تولد مرة فى أوائل الشتاء .

منذ عشرين وخمس   من سنى الدهر سواء

* * *

تم عندى كل ما تعـ   ـطى إذا تم العطاء
وجميلٌ كل بدء   ينتهى خير انتهاء
وجميل زهوك النا   مى على هذا النماء
صدق العلم وقال الحـ   ـب حقاً يا هناء
سنة الزهر نشوء   فى المعانى وارتقاء

* * *

إساءة مشكورة

إليك منى الشكر حتى على
إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتنى منك فأنجيتنى
من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق
تعرّض العتب له فاصطبر
ما ذاكر الجنة ربّاً له
كذاكر الجنة فيها الخطر
ولهفة الظامئ ترياقها
أن ينظر الغصة فيما انتظر

* * *

عروس الشعر

فى البعد

عروس شعرى أجيدى   فى البعد نظم القصيد
فيم السكوت ؟ أما من   وحى ؟ أما من نشيد ؟

أوخيُ ثغـــر لثـــغـــر أولا صــدى من بعــيــد ؟!
أمـــا ســمـــعت ببــرق مـــســتـــحـــدث أو بريد ؟
ونـاقـل مـن أثـيـــــــر وسكـة من حـــــــديد
بُشـــرى إذن ألف بشـــرى بيـــوم قـــرب ســـعـــيـــد
إلـــى المـــزاهـــر هُـــزِّى أوتـارها مـن جـــــــديد
ورنِّمى واســـتـــعـــدى ورتلى واســـتـــعـــيـــدى

* * *

صنوف حب

عـــــــرفـت مـن الحـب أشـكـالـه
وصـاحـبت بعـد الجـمـال الجـمـال
فـــحـبّ المصـــــور تمـثــــالـه
عـــرفتُ! وحب الشـــبـــاب الخـيـــال

* * *

وحـب الـقـــــداســـــة لـم أعـــدُه
وحـب الـتـــصـــوف لم يعـــدُنى
وفـــى كـــل حـــب ورًى زنــــده
ســـمــــاتٌ من المؤمن الـديِّن

* * *

وحب المزخـــــرف والمنتـــــقى
وحـب المجـــــرد والـعـــــاطـل
وحـب الجـمـــاح ، وحـب الـتـــقى
وحـب المجــــــدد والـنـاقـل

* * *

وحب الشقاة وحب الصحا
ب ، وحب الطبيعة فى حسنها
وحب الرجاء وحب العذا
ب ، على يأس نفسى من حزنها

***

وحب التى علمتنى الهوى
وحب التى أنا علمتها
ومن أستمد لديها القوى
ومن بالقوى أنا أمددتها

***

وحب الجياع صحاف الطعا
م ، وحب الظماء كثوس الشراب
وحب الكفاح وحب السلا
م ، وحب الضلال وحب الصواب

***

صنوف من الحب لاتلتقى
وفيك التقى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق
لما كنت كفؤًا لهذا الهوى



صفحات وتأملات

ليالى رأس البر

مناظر من سحر الجمال أراها
ولولا سناها قلت كنت أراها
تلوح كذكرى حالم يستعيدها
لعمق معانيها ، وبعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ
وفيها من السلوى جميل رضاها
ليال برأس البر تَنْدَى وداعةً
ورقة أشجان ، وطاب نداها
وداعة ذات الدّل شاب فؤادها
شوائب من هجر ، فراض صباها

* * *

ليالٍ برأس البر طاب نداها
وشفت دياجيها ورق سناها
هنا النيل ساجٍ طال فى الدهر سيره
وطالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوار الدهور على الكرى
ويطغى فلايحمى النفوس كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطِّرادها
ترسلت الأحلام ملء مناها
هنا عالم السلوى ، هنا العالم الذى
تحس الليالى فيه همس خطاها
هنا العالم المشهود ذكرى قديمةً
وذكراك دنيا لاتزال تراها

فلولا حياتى فى عروقى أحسها
لقلت نعيم الغابرين طواها

* * *

جمالك - رأس البر - فئ زى ناسك
إذا ضاحك العين الضحوك شجاها
لياليك - رأس البر - فى صومعاتها
مناسك ضلت فى الظلام هداها
صحابك - رأس البر - أطياف نائم
تساوى لديها صبحها ودجاها
عناها الذى يعنى النيام من الرؤى
ولم أر جهدًا فى الحياة عناها
حياتك - رأس البر - طفل مجدد
سقته ثدئ الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفة الخلد كلما
فنينا ، وكم تُفنى الجسوم نُهاها
بحسبىَ من أبناء آدم إن صفا
لنا العيش يومًا ، إن تكفّ أذاها

شرفة مصر
فى رأس البر

ينتهى البر ههنا — أو هنا البدء أولا
نحن فى باب شرفة — إن تكن مصرمنزلا
نترك الأرض خلفنا — ونرى البحر مقبلا

كـالذى يهـجـر الدنيا ... رإذا ارتاض واختلى
مـصـر من خلفنا ولا ... مـصـر من صوبنا ولا . .
حبذا «الرأس» شرفـة ... ومـصـيفـاً ومـوئلا
فـرجـة النفس كلما ... عـافت الأرض والملا

* * *

خبر الربيع

يأيها الورق المخضرُّ فى شجر
عهدى وما فيه من ذى خضرةٍ أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى
عيدانك العوج ذاك العطر والزَّهر
أنا سألنا ، ولو عاد السؤال إلى
فحوى الضمائر لم نعرفه يا شجر
سلنا بحقك من أين استجدَّ لنا
هذا السرور الذى فى القلب ينتشر
كلاهما طارقٌ طاف الربيع به
على براق من الأنوار ينحدر
سلهُ فإن لم يُجِبْ فانعم بمقدمه
وافرح به ، وانتظره حين ينتظر
إذا أجاب بأزهار مفتَّحة
وبالسرور ، فحسبى ذلك الخبر

* * *

الوجود!

لاتنازع الوجود

ليس السر الأكبر هو تنازع الوجود ، بل السر الأكبر هو الوجود نفسه كيف كان وما الذى يبعث إلى التنازع فيه ؟ فتعليل أطوار الحياة بالتنازع تعليل بشىء يحتاج هو نفسه إلى التعليل ، وأنت لاتعطينى الكنز إذا وصفت لى صراع الطامعين فيه ، وكذلك لاتعرّفنى سر الحياة وكنزها المخبوء إذا وصفت لى تنازع البقاء :

«نزاع بقاء» فصّلوه وعددوا
ورامـوا به سر الوجود فأبعدوا

أيوجد مخلوق ليحمى نفسه
من الخلق ؟ أم يبغى الحمى حين يوجد ؟

هو السر كل السر أنك كائنٌ
وأنك تبغى الكون [1] والكون مُجهد

فلا تُحص ألوان النزاع فإنما
هنا السر والكنز الذى عنك يوصد

أمعطىٌ كنزًا إن عرضت لناظرى
صراعًا على أعتابه يتجدد ؟

* * *

تجربتى

تجربتى ! أين أنت تجربتى ؟
يا كتبى . أين أنت يا كتبى ؟ !

---

(١) الكون : مصدر كان ، وهو الوجود .

لم تمنعى دمـــعـــة تؤجـــجـــهـــا
في القلب نار العـــذاب والغـــضب
إليك عنى ! فلست مـــانعـــة
حـــزنى ، وقـــد تمنعـــينني طربى
وقـــد تشـــوبين لى الصـــفـــاء ومـــا
تُصـفين عـيـشى من كـدرة الريب
لهـــفى على غـــرة أعـــيش بهـــا
غـفـلان ، والفـاجـعـات عن كـثب[1]
لهـــفى على جُنة أهيم بهـــا
مـــقـــهـــقـــهًـــا بين فـــادح النوَب

* * *

قربان القرابين

مـــافى القـــرابين ولا الأعـــيـــاد
أبرُّ فـى اللـب وفـى الفـــؤاد
من يوم حبٍّ بالحـــيـــاة شـــاد
مـــدخـــر منتظر الميـــعـــاد
تبـــذله للمـــوت والحـــداد
رعـــيًـــا لمن باتوا على وســـاد
من الثـــرى فى غـــيـــر مـــا رقـــاد
وقطعـــوا فى القـــبـــر كل زاد

* * *

(١) عن قرب .

الفن الحى

أو الحياة الفنية

خـذ من الجـسم كل مـعنى ، وجسِّم
من مـعـانى النفـوس مـا كـان بكرا

حـبـذا العـيش يبـدع الفكر جـسـمـا
تجـتليـه ، ويبـدع الجـسم فكرا

ويرى الفن كـالحـيـاة حـيـاة
ويرى للحـيـاة فنّاً وشـعـرا

ضلَّ من يفـصل الحيـاتين جـهـلا
واهتـدى من حـوى الحـيـاتين طرا

* * *

عصر السعادة

إن السـعادة هى الكفاية ! والاكتفاء بدء التحول والاستغناء ، فكأنما السعادة تغرينا بالتحول عنها حين نملكها . . . فإن لم تُغرنا بذلك فهى كالنور الذى ينبسط على الحياة فيرينا منها أخفى العيوب ، فتخلق لنا أسبابًا كثيرة للنفور من الدنيا بعد أن كانت تلك الأسباب خافية علينا ، إذ نحن نريد الدنيا أبدًا رفيعة جميلة كما صورتها لنا السعادة ، ولو لم تصورها لنا على ذلك المثال لقنعنا من الدنيا بالقليل :

ثق بالرهان على عمر الزجاج ولا
تثق بعمر سعيد طال أو قصرا
لعل أسعد حيٍّ أنت مُصبحه
يموت قبل نزول الليل منتحرا
وفي السعادة مايُغري بفرقتها ،
إن الكفاية تكفي من رأى ودرى
وربما شوهت دنياك أجمعها
إذا رأيت بها عيبًا ، وإن صغرا

* * *

العراف

من عهود مجهولة وديار
هى أخفى من عمره مستقرا
حمل اللحية التي تنسج الد
هر ، وتبديه للنواظر شعرا
هو غيبٌ فكيف لايعلم الغيـ
ـب ، ودهر فكيف يجهل دهرا
خلفه للزمان سر ، فهل يطو
ى غدٌ من أمام عينيه سرا ؟
فى خفايا المجهول عاش فسله
عن خفايا المجهول ينبئك جهرا

* * *

التقديس

عـــاوف التـــقـــديس رو حىٌّ، وإن قـدس جـســمـا
ومـهين الجـسـم جــســمـ ـىٌّ، وإن كــان «بَرْهمـــا»
أنت بالتـقـديس تسـمو لا بما قــدستَ تُـســمى
وهـــى الأعـــين لا الـــنـو ر التى تجلو، وتعـــمى

* * *

يوم شتاء

يوم بيت لايوم خـــوض الـديـاجى
فـــانج مـــا بين صـــفـــحـــة وســراج
وجـــمـــال من النفـــوس يُنـاجى
فى أســـارير وجـــهـــه ويناجى
مســتـهلين والطبـيـعـة غـضـبى
وكـــلانا من هولهـــا الصـــعب ناج
نتـــحـــدى الرياح والليل والأهو
ال طراً بصـــفـــحـــة من زجـــاج !
فـــإذا مـــا يروع منهـــا ويضنى
نتلقـــاه ههنا بابتـــهـــاج
كـــالذى يشـــهـــد الكوارث فناً
من فنون التـــمـــثـــيل والإخـــراج

* * *

السرور

منع الســـرور حـــذار قلبى قـــبله
إنه لايتم، وبعـــده التنغـــيـــصـــا

ويزيدني كلفـــا به وضنانة
ألا يبـــاح - إذا أبيح - رخـيـصـا

* * *

القديس

إن يجهل الناس ما القديس في خلق
فأنت وحدك؛ قديس السماوات
لامانح الخير كل الخلق تحمده
أو مانح الخير مجزياً بجنات
أو مانح الخير يرويه ويرسله
في حاضر من سواد الناس أو آت
منحت خيرك تأبى أن يذاع، وقد
تخشى عقوبته في يوم ميقات
منحته من سخاء لاجزاء له
إلا مسرة وهاب المسرات
تلك القداسة حقا لاقداسة من
يزدان بالعرف في سمت وإخبات[1]
تلك القداسة من نور وإن سترت
كأنها الذنب في ليل الخطيئات

* * *

نسختان!

خذ من رجائك نسختين ولاتصن
أبدا رجاءك في كتاب [2] واحد

(١) الإخبات هو التخشع. (٢) الكتاب هنا بمعنى الرسالة أو المكتوب، أو «الخطاب».

فـإذا الْتَـوتْ إحـداهمـا عن قـصـدها
لم تخطئ الأخـرى سـبـيل القـاصـد

* * *

العزاء جملة

غنيتُ عن العـــزاء ، وهل عـــزاء
لمن قـــبل المصـــاب رأى المصـــابا
تسلفتُ الفـــجـــائع فى ارتقـــاب
وحـــســـبى أن أهوِّنـهـــا ارتقـــابا
لقـــــد هانت خطوبى حين باتت
حـــيـــاتى كلهـــا خطبًـــا عُـــجـــابا
فـــإن شـــئـــتم فـــعـــزوا فى حـــيـــاتى
مـــجـــازفـــة ، ولاتحـــصـــوا الحـــســـابا

* * *

مناجاة الدنيا

يقول الحى : إن كانت غاية الحياة موت فالدنيا هى الخاسرة ، والحى لايشعر بخسارة فقد الحياة .

وتقـول الدنيـا : إن حيّاً يجىء يغنيـهـا عن حى يروح ، وبذلك تبقى ينابيع الحياة ، فلا خسارة عليها .

ويقول صوت خالد لاهو صوت الأحياء ولاهو صوت الدنيا : إن الفناء يصيب الدنيا كما يصيب الأحياء ، فليس هناك عنصر مكتوب له أن يُفنى أبدًا أو يَفنى أبدًا ، وإنما كل كائن له دور فى الإفناء ودور فى الفناء :

إن تكن غايةُ سعى الحى موتٌ فيــك يا دنيا فأنت الخاسرة
أو يكن بعد فناء الميْت عيــشٌ فيـك يا دنيا فأنت العامرة
نحن إنْ عدنا إليك الخاسرون

* * *

فأنت الدنيا : بحىٍّ بعد حى أنــــا أستبقى ينابيع الحياة
فامكثوا فىَّ نفوسًا أو تــــرابًا ما على الحالين عندى من شكاة
إن ذهبتم فكما كنت أكون

* * *

قال صوت ليس بالدنيا ولا هــــو بالنــــاس ولا غيرهما
فيه منها ثم منهم أثــــرٌ ثــم من شىء سرى بينهما
كلُّنا نحن حــيــــاة ومنون
كلنا يفنى ويُفنى ويصــــون
كلنا مفترقون . كلنا متحدون !

* * *

متفرقات

إلى الأستاذ مكرم (١)

يا من أسى جرح مصر فى ضمائرها
جراحُ جسمك تأسو مصر شكواها
إذا شكا مكرمٌ فـدَّته أمـتـه
كما رعاها وحياها وفدَّاها
الله والنيل قد صانا وقد عرفا
من ليس يعرف إلا النيل والله

* * *

تهنئة

ولدى فى البيان والأدب — تلك قبرى من أكرم القُرب
كن أبًا واستمع نداءك من — كل نجل بذلك اللقب
فإذا حفَّك البنون بما — شئت من بهجة ومن لعب
وإذا ما بلغت فى عقب — فوق ما قد بلغت فى نسب
وإذا ما ارتقيت فى رتب — أبدًا ترتقى إلى رتب
كان لى الفخر أن دعوتك يا — ولدى ، أو دعوتنى بأبى
إنَّ فى حافظ (١) لمفخرة — لذويهِ وصحبه النجب

* * *

تقريظ

لك شعر يحكي سريرة نفس
رُكِّبَتْ من صراحة ونقاء

(١) وجهت إلى الأستاذ النابغة : «مكرم عبيد» حين إجراء العملية الجراحية فى المستشفى القبطى .

(٢) قيلت فى تهنئة الأديب : «المهذب حافظ جلال» بخطبته .

جُبلتْ كالفراش فى أمة الطـ
ـير خفوقًا بين الندى والضياء
واستوت فى الحياة فوق جناح
مستطار الخطى رقيق الغشاء
فتعهَّدْ حدائق الشعر والبس
حلل الروض ، واطّلع فى السماء
وانشد النور فى جوائك واطلب
بعدها الشمس فى رحيب الفضاء
أنت يا طاهر [1] الفؤاد جدير
من محبيك بالرضا والثناء
لك يومٌ موفٍ بأجمل سعي
وغَدٌ مقبلٌ بخير رجاء

* * *

أسوديلتحى

أليس كفى هذا السوادُ فزدتَه
سواد غراب فى لحاك معلق ؟
سريت برأس لاحدود لوجهه
فمازال فيه الليل بالليل يلتقى
ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى
سوادك محفوفًا بأبيض مشرق
وأخلقُ أن يرتادك الشيب حالكا
على حالك ، لو كان يجرى بمنطق

(١) هو الشاعر الأديب : « طاهر الجبلاوى » ، والأبيات نظمت فى تقريظ ديوانه : «ملتقى العبرات» .

نبوءة(١) أو وسواس

يا نبيِّى العـزيز ! أنت نبىٌّ ... غلبتـه وسـاوس الشـيطان !
غلبتـه الشكوك لا عن بيان ... ناطق بالهــدى ، ولا برهان
موجسًا من خيانة فى ثنايا الغــ ... ـيب ، والغيبُ صارم الكتمان
دلَّه حـدسـه عليـهـا وما دلَّ ... على مـوضع لهـا أو زمـان
أو على آثم جناها وأخـفـى ... سـرها عن رقـيـبـه اليـقظان
قل لنا السـر كله يا نبـيِّـى ... أو فها نحن فى الهوى سيان
أعرف الناس خائنين فهـلا ... زدت شيئًا علىَّ فى العرفان
يا نبيِّـى ، فاشرح لنا أنت ماقد ... كان ، لا ما يكون فى الإمكان

* * *

البيلا (٢)

البـيـلا . البـيـلا . البـيـلا ... مـا أحلى «مشُلب البـيـلا»

* * *

هاتوا البـيــلا واســقـونى ... هاتوا البــيـــلا . داوونى
الطب «ودينى» يوصـيـنى ... بالبـيــلا ، تحـيـا البـيـلا!
البـيـلا . البـيـلا . البـيـلا ... مـا أحلى البنت البـيـلا !

* * *

(١) تنبأ أحد المصدقين بقراءة الأفكار عن بعد أن هناك خيانة ستقع دون تعيين المكان وشخص الخائن ، والشاعر يقول فى هذه القصيدة :إن هذه النبوءة لاتعدو القول بأن الخيانة موجودة فى الناس ، وهذا شىء نشترك فى علمه أجمعين .

(٢)البيلا : أى البيرة . . والقصيدة منظومة فى طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقدارا قليلا جدا من الجعة يشربه بين حين وآخر ، فألف الطفل الجعة واستطابها وأصبح يهش لها ويؤثرها على الحلوى والفاكهة . وفى القصيدة تمثيل له على هذه الحالة يجمع نقيضى أمره . فهو يتكلم تارة كأنه رجل كبير وتارة كأنه طفل صغير .

مـــالى ومـــا للشكولاتا تمـشـى لـى تـلـتـا تـالـتـا
بطلٌ مـــثلى هيـــهـــاتا بالحلوى ينسى البــيـــلا
البيـلا . البـيـلا . البـيـلا أبدا لا أنـسى البـــيـــلا

* * *

يوم رضـاعى خـدعـونى بـالـبـــيــــلا لم يروونى
من ثديى لاتسـقـــونى اسـقونى ، اسـقونى البيلا
البـيـلا . البيـلا . البيـلا هاتوا لـى كـأس البـيـــلا

* * *

اخطف كـــأسى بالكفين خطف المفطوم الثـــديين
إن أغـمض عينيه الثنتين فـتـحت عـينى البـيـلا
البـيلا . البـيـلا . البيـلا «نور العـــينين» البـيــلا

* * *

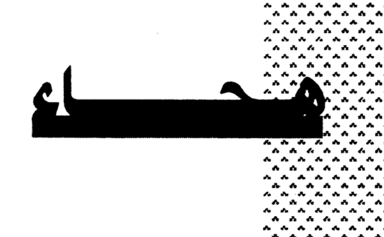
بالبـيــلا كنت حكيـمـا أرضى بالمر عليـــمـــا
طمعا فى الصبر وفيـمـا يحلو من وعــد البـيــلا
البـيلا . البـيـلا . البـيـلا مـــا أحلى وعــد البـيــلا

* * *

قـالوا السكران العـربيـد ! عـربيــدٌ أنا بالتـأكـيـد
أرقص ، وأغني ، وأجـيــد فى سـاعـة «سلب البيلا»
البيـلا . البيـلا . البيـلا غنوا فى نخب البـيـــلا

* * *

لقـبى فى صحبى«همًا» ظلـمونى فى اسـمى ظلـمـا
إن نادوا البــيـــلا يومًا أغلط فى اسـمى والبيـلا
يحـيـا «همًا» والبــيــلا البـيـلا . البـيـلا . البيـلا


هجاء

هجاء الدهر

أباسمٌ تُغنى ؟ لُعنتَ شرٌ لعن
وإن عداك المثنى خذ الثناءَ منى
يادهر وامض عنى

* * *

كن عابسًا قطوبا أو ضاحكًا طروبا
ما أشبه الموهوبا عندك والمسلوبا
إليك ! دعنى دعنى

* * *

ما أقبح اللئيما مبتسما كظيما
أدنى إليه سيما أن يُبتلى دميما
يعوى ولا يُغنِّى

* * *

أمانحى السرورا ؟ خذه و بن مدحورا
لولم أكن موتورا أشكو الأذى المقدورا
ما شاقنى بحسن

* * *

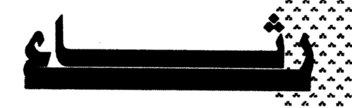
أين الجمال أينا ؟ كلُّ الجمال منّا
إن شئت لا إن شئنا فقرَّ أنت عينا
وخلّنا فى أمن !

خنزير أعجف!

فـــيـــه خنـزيرية ظاهرة ما نفـاها عنه ذاك العـجف
هو خنـزير ولـكن شـــأنه جـسـدٌ فى وضـعـه منحـرف

اللؤم خالد

يا عـصـبـة اللؤم مـهـلا بعضَ غـيـرتكم
فـــاللؤم لا ينـقـــضـى إن لـم تُجلوه
ســيـخلـد اللؤم فى الدهر اللـئـيم وإن
أذلـه أهـلـه ـ لـؤمًـــــا ـ ومـلّـوه


رثاء

نصيب الحى والميت

يا صـــديقى لنا البكاء ولك الموت والســـلام
عـنـدنـا الـنـور والـعـنـاء ! عـنـدك الـنـوم والـظـلام !
ليس يأسى أخـــو فناء بل أخٌ بعـــده إقـــام

* * *

أتبعُ الصـحب فى القـبـور ببكائى ، ومـــا اهتـــديتْ
أنا لو دام لى الشـعـــور بعـــد مـــوتى لما بكيتْ
عــــالمٌ كله غـــرور عشتُ ما عشتُ أو قضيتْ

* * *

هالكُ كلُّ مــــا يكون تستوى النفس والصفـاة
فلمن تحـصـد المنون ولمن تزرع الحـيــاة ؟
بدأت حكمـــة الجنون وانتـهـت حكمـة الهـداة

* * *

رفيق الصبا (١)

رفيق الصبى المعسول أبكيك والصبا
وما كـان أخلى مـا بكيت وأطيـبـا
وأذن فـيك الصبـر أن لا يجيبنى
وأذن فـيك الحـزن أن يتـغلبـا
ألقـاك عند النيل إن عـدت فى قنا
وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟

---

(١) رثاء الصديق : د حسين الحكيم من أدباء قنا المعروفين بالورع .

ونستنشد الأشعار في كل ليلة

ونطلب في كل الأحاديث مطلبا

ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً

على الأرض إلا كي يقولَ ويخطبا

ونحصي على الدهر البريء ذنوبه

وما كان إلا مازحًا حين أذنبا

ألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى

فأقربُ منها أن أصافحَ كوْكبا

إذا عدت أستحيي الشبابين في قنا

وجدتك رسما في التراب مغيبا

وساءلت عنك الصحبَ أين مزارهُ

وأذريت دمعًا عند قبرك صيِّبا

* * *

عجيبٌ لعمري موتُ كل محبَّب

إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا

حسين ! عرفت الموت فيك غريبة

وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا

أمَنْ هو في ذِكرى فتى العمر ينطوي

كما طوت الأسقام شيخا معذَّبا ؟

نعم ينطوي الشبان والشيب في الردى

ورب فتىً في الردى فات أشيبا

وسيان فى عقبى الطريقين من مشى

على عصويه من عياء ، ومَن حبا

عهدتك فى شرخ الصبى ناضر الصبى

وفاجأنى الناعى فأجفلت مُكْذِبا

ألا ليته لم يعرف الصدق عمره

ولم يك إلا كاذب الظن مُغربا

* * *

رفاق حسين أبّنوه وأطنبوا

فما يخطئ الباكى سجاياه مطنبا

لقد كان ميمون النقيبة صالحًا

وكان أمين السر والجهر طيّبا

وكان عفيف القول لايقرب الأذى

ولا يذكر الإخوان إلا تحبُّبا

وكان على كنز القناعة آمنًا

وإن قصر المسعى بدنياه أو نبا

إذا استمرأت مرعى الخيانة أنفسٌ

تحرّجَ منها مُعرضًا وتحوّبا

وكان عزيز النفس فى غير جفوة

ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا

وكـان سـمـيـرًا يملك السـمع كلمـا

تبـسط فى أسـمـاره وتشـعَّـبـا

أديبًـا يصـوغ الشـعـر والنثـر فطرة

ويؤثر فى الآداب من كـان مـعـربا

أليـفًـا وفـيًـاً لا يفـارق صـاحـبًـا

ولا منزلاً إلا انثنى فـتـقـرَّبا

أحبَّ قنا واستـعـذب العيش فى قنا

فلم يُغـره عـيش ، وإن كـان أعـذبا

لئن ذكـر الوافـون عـهـد ولائه

لما ذكـروا إلا الوفىَّ المهـذَّبا

* * *

رفـاق حسين أسـهبوا فـيـه واذكـروا

رفـيـقـا له يعـتـاده الحزن مـسـهـبـا

على كـثب منه اجـتـمـعـتم فليت لى

مكانا من الجـمـع القنائىِّ مكثـبـا

كـأنى وقـد فـارقـتـه قـبل يومـه

سـمـعت له نعـيين يوم تغـيَّـبـا

* * *

إذا مـا رثى المحـزون إلف شـبـابه

رثى قلبـهُ شطرا من القلب مـخـصـبـا

وودع من عهديه في العمر قِبلةً

أخفَّ على الروّاد زادًا وأرحبا

إذا جازها أودى بمختار عيشه

ولم يبق إلا ما اتقى وتهيبا

* * *

أليف الصبى لاتشكُ في الموت وحشة

فمازال ركب الموت أحفل موكبا

تعاقبت الأجيال تحت لوائه

وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومذهبا

وما الزمن المحضور إلا بقيةٌ

من الزمن الماضي تلاقت لتذهبا

عليك سلام الله حتى يظلنا

سلامٌ أظل الناس شرقًا ومغربًا

تذييل
فى اسم الديوان

جاءنى بعد أن نشرت مقدمة هذا الديوان فى الصفحة الأدبية بالجهاد استفهام من بعض الأدباء يسألنى فيه بلهجة لاتخلو من الاعتراض : هل يحرم إذن على الشاعر المصرى أن يذكر البلبل وما إليه؟ وهو سؤال لامحل له ، لأننى لم أحرم ذكر البلبل على الشعراء المصريين ، وإنما قلت : «من العجيب أنك لا تقرأ صدى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يسمع الكروان فى أجوائنا المصرية من شمال وجنوب ! وأعجب منه أنك لاتقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تسمع فى هذه الأجواء» .

فالذى يلام عليه الشاعر أن يدع طائرًا مغردًا جميل التغريد لاشك فى وجوده وكثرته فى الأجواء المصرية ثم يجعل شعره من هذا النحو وقفًا على فصائل من الطير توجد عندنا فى بقاع محدودة أو لا توجد إلا أيام الهجرة العارضة .

فالطائر المعروف باسم البلبل يقيم عندنا بين الفيوم وبنى سويف ويتفرق على قلة فى أنحاء الصعيد ، وقلما يصل إلى القاهرة والأقاليم الشمالية .

أما الطائر الذى يقرءون عنه فى الآداب الأوروبية أو الفارسية ويحسبونه «البلبل» فليس هو البلبل المصرى «أولا» ولكنه إما أن

يكون العندليب أو الهزاز أو فصيلة أخرى ، وهذه الفصائل - بعدُ - مهاجرات يندر أن تنطلق بالغناء على سجيتها أثناء الهجرة المصرية .

فمن التقليد المعيب أن نخص العنادل والبلابل بالوصف والإعجاب ونهمل الكروان وهو مقيم فى جميع أجوائنا ، ومنه فصائل ترود بلادنا كما يرودها غيرها ، ولايُفهم من ذلك إلا أن الناظم يطرب على المحاكاة ولايفقه لماذا يكون الطرب لغناء الأطيار .

الفهرس

من مؤلفات عملاق الأدب العربي الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد





طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر



من شعر عملاق الأدب العربى
عباس محمود العقاد

١. ديوان يقظة الصباح
٢. ديوان وهج الظهيرة
٣. ديوان أشباح الأصيل
٤. ديوان وحى الأربعين
٥. ديوان هدية الكروان
٦. ديوان عابر سبيل
٧. ديوان أعاصير مغرب
٨. ديوان بعد الأعاصير
٩. ديوان عرائس وشياطين
١٠. ديوان أشجان الليل
١١. ديوان من دواوين



